طبيعة المجتمع الكوردي في أدبه

ڕێڤەبەرێ گشتێ و سەرنڤیسەر

مؤيد طيب

مافێن چاپکرنێ د پاراستێ نە
©

کوردستانا عێراقێ - دهۆك
تاخێ مازی - جادا ئاشتی
ئاڤاهیێ سپیرێز

www.spirez.net
www.spirez.org

دار سبيريز للطباعة والنشر
دهوك

- **تسلسل الاصدار:** (٤١٤)
- **عنوان الكتاب:** طبيعة المجتمع الكوردي في ادبه
- **تأليف:** د. بدرخان عبدالله السندي
- **الغلاف:** د. بدرخان عبدالله السندي
- **الاخراج الفني:** حسين صنعان
- **الاشراف الطباعي:** شيروان احمد طيب
- **الطبعة:** الثانية ٢٠١٦
- **تيراژ:** (٥٠٠) دانه
- **رقم الايداع:** ٢٠٠٦ ل (ڕێڤەبەریا کتێبخانێن گشتی - دهوك).
- **مطبعة:** هيڤی - اربيل

SPIREZ PRESS & PUBLISHER
DUHOK

طبيعة المجتمع الكوردي في أدبه

تأليف

د. بدرخان عبدالله السندي

2016 سـيـيـرێ

الاهداء الى.....

مـن يتـوق الى التعـرف والوقـوف علـى حقيقـة المجتمـع الكـوردي وطبيعتـه مـن خـلال ادبـه اهـدي هـذا النتـاج المتواضع، لعله يجد ما يبتغيه.

المؤلف

١٩٦٧

الفهرست

الاهداء..... ٥

مقدمة..... ٩

تشخيص الادب الكوردي..... ١٣

روائية الادب الكوردي..... ١٧

القصة في الادب الكوردي..... ٢١

وسائل تفاعل القصة مع المجتمع الكوردي..... ٢٥

محتوى الادب الروائي الكوردي..... ٣١

التفسير النفسي والاجتماعي للمحتوى الروائي في الادب الكوردي..... ٣٣

العاطفة في الادب الكوردي..... ٥٧

التخيل وعلاقته بالعاطفة في الادب الكوردي..... ٦٥

المدلول الاخلاقي للعاطفة في الادب..... ٦٧

الفلسفة في الادب الكوردي..... ٧١

الصراع بين الخير والشر..... ٨٧

اصل الوجود وغاية الانسان في الادب الكوردي..... ٩٥

الالتزام في الادب الكوردي..... ١٠٣

الاتجاهات والمذاهب الرئيسة في الادب الكوردي..... ١١٧

الاحلام في الادب الكوردي..... ١٣٣

الشكر..... ١٣٧

المصادر..... ١٣٩

المقدمة

عرفت الامم والشعوب بادابها وبما قدمته من تراث ونتاجات فكرية عبر التاريخ، والادب كمرآة تعكس لنا طبيعة الفكر العام ومستواه وتحدد معالم حضارته ومن ثم حضارة مستقبله او بالاحرى اهدافه امر جعلني ارى من الادب الكوردي خير وسيلة ودليل للاهتداء الى طبيعة الشعب الكوردي ودراسة نفسيته، ولكن هل كان الادب هو الاداة الوحيدة في دراسة نفسية الشعوب؟ كلا بالطبع فهناك ابعاد عدة ومداخل كثيرة تشترك في توضيح الحياة النفسية والاجتماعية لشعب من الشعوب او امة من الامم، الا انه والحق يقال ان مثل هذه الدراسة - دراسة نفسية الشعب الكوردي - تستدعي امكانات عدة ومقومات جمة من شأنها ان تجعل من دراستنا دراسة دقيقة اقرب الى الناحية العلمية ومن هذه الامكانات والمقومات توفير البيانات والاختبارات المقننة وتوزيعها وتحصيل الاجابات عنها ومن ثم الخروج بالنتائج وتحقيق الفرضيات او دحضها وفقا للنتائج ضاف الى ذلك تهيئة الجو العام للاستجابة الى مثل هذه الاختبارات النفسية وما اصعب تحقيق هذه الاستجابة مع صدق المعلومات والادلاء بها بالنسبة للشعب الكوردي وأي شعب اخر لم يخضع من قبل الى اختبارات واحصاءات علمية نفسية،

ولكن عدم استطاعتنا على تهيئة ظروف الدراسة العملية والعلمية كهذه لنفسية المجتمع الكوردي في الوقت الحاضر ليس معناه ان لا نحاول دراسة شخصية المجتمع الكوردي بما هو موجود ومتوفر من امكانات نظرية لا تستدعي الحصول على الاحصاءات ونتائج الاختبارات النفسية واول هذه المنافذ النظرية الى دراسة طبيعة المجتمع الكوردي وهو الاب الكوردي، وعليه سيجد القارئ الكريم في هذا الكتاب الذي اضيفه بتواضع الى الدرج الادبي والاجتماعي من المكتبة الكوردية والتي امست في امس الحاجة الى جهود مثقفيها شبابا وشيوخا لإتحافها بنتاجاتهم وثمرات قرائحهم، اقول ان القارئ الكريم سيجد ان جل جهدي واهتمامي كان الربط بين الظواهر النفسية التي تكمن في الحياة الاجتماعية الكورية من ناحية، والادب الكوردي من ناحية اخرى سواء كان ذلك في تشخيص الادب الكوردي ام فلسفته ام اتجاهاته الرئيسة.

وهنا بودي ان اجيب عن سؤالين متوقعين من القراء الكرام اولهما لم كتب هذا الكتاب باللغة العربية ولم يكتب باللغة الكوردية؟.. وثانيهما لم كان الكتاب اجزاء ولم يظهر كوحدة واحدة؟.

الحق معك عزيزي القارئ ولكن دعني اقول: قد اصبح من الضروري بمكان تعريف الشعب العربي الشقيق بادب شعبنا الكوردي، واقولها والمرارة ملء فمي ان ابناء الشعب العربي لاسيما اخواننا في العراق يجهلون تماما الادب الكوردي حتى اشياء بسيطة عنه بينما هناك الكثير ممن عنوا بالادب الفارسي او التركي او أي ادب اخر واهمل شأن الادب الكوردي حتى من التعرف عليه واحد الاسباب الرئيسة لهذا الاهمال:

قلة الموارد الادبية الكوردية عند اشقائنا العرب، فدعنا اذن نعرف من عشنا معهم تربة وسلكنا معهم دينا، ادب شعبنا وطبيعته، وبهذه المناسبة اود ان اهمس في اذن احد اساتذتي عندما كنت طالبا في كلية التربية في جامعة بغداد حينما سألني ببساطة (هل عندكم شعر في اللغة الكوردية؟).. لاقول له مجدداً نعم ياسيدي فقد لا تخلو لغة من اللغات من الادب والشعر.

الامر الثاني: عزيزي القارئ ان جعلت هذا الكتاب اجزاء مع ايماني ووثوقي بان الكل اجدى من مجموع الاجزاء لا على صعيد الكتابة والتأليف فحسب بل في شتى مرافق الحياة وجوانبها الا ان هناك ظروفاً شخصية تكمن وراء طبعه اجزاء لا كلاً، واتمنى ان انجز الاجزاء الاخرى (طبعا لا تأليفاً) في اقرب فرصة.

بقي علي ان اقول ان هذا الكتاب (في نظري على الاقل) محاولة جديدة في مضمار الادب الكوردي ومثل هذه المحاولات لا يكتب لها الصحة والبقاء والنجاح مالم تنقد نقداً بناء هدفه العام لا الخاص بعيداً عن الاجواء الشخصية لذا فكلي امتنان من القراء الافاضل ان احظي بنقدهم لكتابي هذا سواء كان ذلك على صعيد الصحافة ام المراسلة الشخصية والكتاب في حد ذاته بداية لدراسة اوسع واشمل.

المؤلف

تشخيص الادب الكوردي

لو لاحظنا الادب الكوردي بصورة عامة لوجدناه يسير بخطى وئيدة وهذا لا يعني ان الادب الكوردي ليست لديه قابلية التطور وامكانياته فالادب في مختلف صوره وفي مختلف المجتمعات يمكن تطويره تبعاً لتطور المجتمع والحياة الحضارية فيه.

فهو يعنى بحاجات اجتماعية قائمة فيه ولسنا بصدد البحث في كيفية تطوير الادب الكوردي بل نريد التوغل في ميادين الادب الكوردي باعتباره احد الابعاد التي تدخل في تكوين شخصية مجتمعنا، من حيث ان الادب تعبير نفسي للحاجات سواء كانت حاجة المجتمع باسره ام حاجة الفرد بذاته، فمجموعة النتاجات الادبية ما هي الا مجموعة التعبيرات النفسية والنزعات الاجتماعية والتقاليد السائدة وهي بمجموعها تجسم طابعا حضريا معينا في المجتمع.

قبل ان نتوغل في تشريح الادب الكوردي نستطيع ان نقول بصورة عامة ان الادب الكوردي من خواصه اقحام الجمهور على التذوق... تذوق الجمال وتبصيره سواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة بطبيعة الحياة الاجتماعية او بعبارة اخرى بطبيعة المشكلات التي تشمل مآسي الانسان وآماله والتي هي الرغبة في تحقيق حاجات معينة، كما يقود

الادب الكـوردي القـارئ او السـامع الى مـواطن القـوة والضـعف بحيـث يستطيع المرء ان يضع يده على المشكلات الاجتماعيـة السائدة ومـن ثـم الرجوع الى عواملها واسبابها وحلولها.

اعتقد لـيس غريبـا ان نقـرن وظيفـة الادب بالمشـكلات الاجتماعيـة، نعم لم يخلق الادب لحل المشكلات الاجتماعية فقط ولكـن طبيعـة الادب في أي مجتمـع كـان تتـأثر بطبيعـة الحيـاة الاجتماعيـة لـذلك المجتمـع وطبيعـة الحيـاة الاجتماعيـة تتحـدد بمـدى وجـود المشـكلات في ذلـك المجتمع ونوعيتها.

ان الادب الكوردي العريق بعيد كل البعد عن المدرسة او الاتجاه الذي يذهب الى ان الادب للادب.

فـالادب الكـوردي يعتمـد في حقيقتـه علـى الفلسـفة والاخـلاق، علـى مفاهيم الخير والشر، على مفهوم السعادة والشقاء في الحياة، وبهذا اصبح الادب الكوردي ليس غاية بل وسيلة تقودنا الى غاية أي انـه ادب هـادف، ولعل السـبب في ذلـك ان الادب الكـوردي كمـا ذكـرت آنفـا يتطـور بخطـى وئيدة مناسبة لخطى التطور الاجتماعي واني اذ اقول ان الادب الكوردي يعتمد على الفلسفة والاخلاق ومفاهيم الخير والسعادة فلا اعني بمثالية الادب الكوردي دوماً، فقد يختلف اديب عن اخر في فلسـفته الاجتماعيـة او في مفهومه للاخلاق او للسعادة والخ..، من المفاهيم المجردة الـتي قلمـا يحدث اتفاق جـازم مقـنن فيهـا، بـل اردت ذلـك ان اميـز واشـخص الادب الكوردي باعتباره يسعى الى هدف او غاية واضحة المعـالم شـأنه في ذلـك شـأن الادب العربـي العريـق فالغائيـة المنطقيـة كانـت ولاتـزال في الادب

الكوردي وهو لم يتأثر بالمؤثرات التي حاولت ان تنفذ عبثاً الى ميادين الادب العربي كاللا معقول مثلا والتي ندد بها معظم الادباء العرب وخنقوها في مهدها صيانة منهم لعراقة الادب واصالته لاسيما انها اتجاهات ادبية مستوردة قد تفي بحاجات مجتمعات معينة دون اخرى.

ليس المقصود مما ذكرت ان الادب الكوردي يجب ان يبقى على كلاسيكيته دون تبديل او تقدم وتطور.. كلا، كذلك لا اقصد من ذلك ان الادب الكوردي او ادباءه يحاربون الاتجاهات الحديثة للادب.. فالتجديد ضرورة تستدعيه الحياة المتجددة دوماً ولكن المقصود من ذلك ان الادب الكوردي او ادباءه على حرب مع كل اتجاه مستورد من شأنه ان يمزق وحدة الادب ويعيده اشلاء مبعثرة بحجة التجديد والتطوير ولكل شيء حدوده حسبما اعتقد.

مما جاء آنفاً نستطيع انتزاع ظاهرة نفسية اجتماعية بالنسبة للاديب الكوردي وهي نزعته للتمسك بما هو متعارف عليه، او بالاحرى فان الاديب الكوردي له ميل نسبي للحفاظ على ما هو معهود سواء كان ذلك بصورة شعورية مقصودة ام بصورة غير شعورية غير مقصودة رغم ظهور ووجود النزعات التجديدية في الادب الكوردي لاسيما بعد النصف الاول من هذا القرن والعامل الذي يكمن وراء ذلك هو ليس كون هذا الاديب اديبا من نوع خاص بل كون ان هذا الاديب ينتمي الى مجتمع يحافظ على التقاليد ويضعها في منزلة عالية من الاهمية، ومن خلال هذا يمكن ان نستشف خاصية مهمة في المجتمع الكوردي الا وهي ان المجتمع الكوردي مجتمع ما زال محافظاً على طبيعته الاجتماعية ميالاً للابقاء على التقاليد والاعراف المتأصلة فيه.

روائية الادب الكوردي

يلاحظ في الادب الكوردي لاسيما الشعر منه انه قائم على اساس الحوار في نتاجات ادبية كثيرة لكثير من الشعراء الكورد وقد يكون هذا الحوار حواراً مباشراً أي تجلي شخصيات الحوار بصورة مباشرة او قد يكون حواراً غير مباشر أي اختفاء شخصيات الحوار مع بقاء اثرها وفعلها في الموضوع فلو لاحظنا القصائد الكوردية ولاسيما القديمة منها لوجدناها قلما تخلو من عنصر الحوار الادبي فالشاعر في مثل هذا النتاج ينظر اليه من زاوية نفسية علمية خاصة فهو في مثل هذا النتاج الادبي الحواري سيكون مجبرا لاتخاذ موقفين فكريين متباينين او اكثر من ذلك، وبعبارة اخرى فان الشاعر والحالة هذه عليه ان يجيد تقمص شخصيات الحوار قبل واثناء الصياغة الادبية فهي صياغة لشخصيات قد تكون بينهم اختلافات فكرية او عاطفية او اختلاف في الاعمار، وقد يكون الموضوع جدليا ينحو الى غاية معينة تظهر وترسخ باسلوب جدلي اقناعي، او قد يكون الموضوع مناجاة وجدانية بين حبيبين مولهين فهو ما يسمى (بالاوبريت) المعروف في اداب بلدان ومجتمعات عديدة والادب الكوردي غني بهذا النمط الحواري وطبيعي غنى الادب الكوردي بهذا الاسلوب هو ليس وليد الصدفة والاعتباط بل ان ما يمكن قوله ان المجتمع الكوردي شغوف بهذا الاسلوب ولذا كان ادبنا الكوردي زاخراً بالروائية الادبية في الشعر القائم على اساس الحوار.

ان الحوار في الادب الكوردي لا يشترط فيه ان يعطينا طابعا روائيا قصصياً ولكن الشعر الروائي غالبا وعلى الاكثر قائم على الحوار فمن الجائز ان يكون الحوار حواراً جدليا كما ذكرنا من قبل ولذا فقد يكون خلواً من عنصر الرواية.

وهناك امران مهمان حريان بالذكر عند تطرقنا الى روائية الادب الكوردي وهما:

اولا: استقراء موضوع مشكلة ما واخضاعها لجدل منطقي ومن ثم بلوغ النتيجة التي ما هي الا اختتام للقصيدة الشعرية امر يجعلنا نقف على حقيقة الاديب الكوردي وهي انه لا يريد للادب ان يبقى في دائرة ذاتية خاصة به، أي انه لايريد من الادب ان يكون ملكه الخاص. ولو كان الامر كذلك لاقتصر الادب الكوردي على الوصف والمديح والرثاء... الخ.

من الجهود الادبية التي تعبر عن ذاتية الاديب اكثر من تعبيرها عن المجتمع ومشكلاته، وعليه وكما قلت مسبقاً فان الادب الكوردي باسلوبه هذا يكون قادرا على اقحام الجمهور لتذوق الادب، وبهذا يكون هناك تفاعل بين الادب والمجتمع ومما يساعد على هذا التفاعل بين الادب والمجتمع الكوردي ان لغة الادب الكوردي مفهومة في الاغلب على صعيد المجتمع المحلي فالالفاظ الادبية هي نفسها الفاظ المجتمع وتقاس فصاحة اللغة بنقاء اللغة وخلوها من الالفاظ الدخيلة وليست هناك أي لهجة ممكن اعتبارها فصحى في اللغة الكوردية حاليا.

ثانياً: ان وراء الشعر الروائي الحواري تكمن اهمية اللغة التي هي اداة الادب. حيث ان الشعر الحواري يصف وضعيات مختلفة وافكاراً قد تكون متناقضة مما يدل على ان اللغة الكوردية وان كانت لا تعتبر لغة حية حاليا الا انها لها القدرة المطاطية والسعة الكافيةلتطويرالمعاني باسلوب ادبي واخراج الفكرة بقالب منطقي.

وهناك ناحية اخرى لها اهميتها ودلالتها في الشعر الحواري وهي ان هذا النمط الادبي يعتمد على الكلام المباشر فيخال للسامع انه في مسرحية مصورة، أي اقتراب الفكرة من الواقع وامتزاجها بالصورة العقلية للسامع وباعتقادي ان اعتماد الادب الكوردي على الكلام المباشر في كثير من ميادينه يعود الى ميل المجتمع الكوردي الى التعرف على حقيقة الشيء دون ان تشوبه أي شائبة تجعله متغيرا فتتغير حقيقته تبعا لذلك وتصبح صورة مهزوزة لاصل الموضوع وجوهر الشعر الذي من اجله نظمت القصيدة.

فالروائية الادبية في الشعر الكوردي هي اعتماد الشعر على نصوص شخصيات الموضوع.

القصة في الادب الكوردي

ان القصة الادبية من مكونات اداب معظم الشعوب لابل كلها. فلا اعتقد ان هناك شعبا يخلو تراثه الادبي من عنصر الرواية، وقد تقترب روايات وقصص الشعوب المختلفة بعضها من بعض، وقد تختلف من ناحية الغاية والطابع تبعاً لنواحي التقاء واختلاف ايدولوجيات الشعوب على مختلف المراحل التاريخية. حيث ان القصة لا يشترط فيها ان تمثل الحياة الحاضرة بل كثيراً من القصص توارثتها الشعوب الحاضرة من اجيالها الماضية واذا ما اردنا ان نتكلم عن (القصة الكوردية) نستطيع ان نقول بان هناك سمات معينة تجسد لنا نوعية وطابع القصة الكوردية وهذه السمات هي:

اولاً: تحاول القصة الكوردية الحفاظ على موضوعية المحتوى وذلك بعد ان يتوارى مؤلف القصة عن احداثها، أي ان شخصية المؤلف تكون مختفية عن الموضوع، وبهذا فان روحية القصة الكوردية هي روحية مسرحية تبرز فيها ذاتية اشخاص الرواية بصورة واضحة نسبياً.

ان لهذه الناحية مدلولها النفسي من حيث ان المجتمع الكوردي اكثر ميلا للتفاعل من القصة التي تظهر ذاتية شخصيات الرواية، وهذا يقودنا الى مدلول نفسي اجتماعي اخر، وهو تعلق الرأي العام بالفعاليات

الفردية والنتاجات الذاتية، وفي اعتقادي ان هذا التعلق هو امتداد للنظام العشائري الذي لايزال قائم ومازالت اثاره متبقية حتى في الاماكن الحضرية غير العشائرية من المجتمع الكوردي، ومن هذه الميزة ظهرت في القصة الكوردية قضية الشخصية الاساسية او بطل القصة وتمجيد هذا البطل وهذه الميزة من ميزات القصة الكوردية تضعنا امام ميزة اخرى.

ثانياً: ان كثيراً من القصص الكوردية منطلقاتها الاولى من مصادر واقعية او من احداث حقيقية وانتهت نهاية اسطورية خيالية صاغها خيال المؤلف او بمرور الزمن وتراكم عناصر المبالغة القصصية والاستزادات الخيالية والتغييرات بما يناسب المواقف ووفقا للحاجات التي كثيرا ما يفرضها المجتمع على القصة عبر السنين واقتراب بطل الرواية من المجتمع ادى الى ظهور الاسطورة في الادب الكوردي، ويضاف الى عوامل ظهور وانتشار الاسطورة عند الشعب الكوردي على مراحل تاريخية مختلفة وخلال ابعاد زمنية عديدة عامل المحيط حيث ان البيئة الطبيعية تلعب دوراً مهما في ظهور الاساطير عند الشعوب كماً ونوعاً وعمقاً في الخيال، فالمناطق الجبلية التي تكتنفها الغابات الكثيفة والكهوف الرهيبة والشلالات العالية والوحوش الضارية تجعل ساكن مثل هذه المناطق مختلفا في عقليته وخياله عن ساكن المناطق المنبسطة حيث هدوء الحياة واطمئنان النفس، ولهذا كانت الاساطير في المناطق الكوردية اكثر من غيرها من المناطق.

ثالثاً: ان التأكيد على شخصية الرواية وتقريبها من الجمهور في القصة الكوردية معناه التأكيد على القيم والمثل الاجتماعية وهنا تكمن صفة المغزى الاخلاقي، والهدف الانساني في القصة الكوردية لانه لا يمكن للرأي العام تقبل شخصية خارجة عن المثل الاجتماعية.

رابعاً: ان الناحية الاخرى التي تبرز في القصة الكوردية بعد التأكيد على شخصيات القصة هي ما للقدر والصدفة من هيمنة واثر على ملابسات واحداث الموضوع وكثيرا ما تصور القصة لاسيما القديمة منها وبصورة غير مباشرة ضعف الانسان امام ما تسوقه الاقدار والصدف وتقاس قوة شخصية القصة بالتغلب على ما هو مفروض عليه في ظروف صعبة واحداث تتحدى قدرة الانسان وطاقاته.

وسائل تفاعل القصة مع المجتمع الكوردي

ان الطريقة التي يتم بها التفاعل بين القصة الكوردية والمجتمع الكوردي تختلف باختلاف القصة واسلوبها.

١- قصص مكتوبة:-

ان للقصة المكتوبة قراءها وجمهورها على الرغم من ندرة هذه وقد ترجمت بعض القصص الكوردية الشهيرة الى لغات اجنبية ولقيت رواجا ادبياً عاليا مثل قصة (مهم وزين) التي قام بصياغتها شعريا الشاعر الكوردي احمد الخاني [١] وقام بترجمتها الى العربية الاستاذ سعيد رمضان البوطي، وهناك قصص اخرى في منتهى الروعة الادبية لو كتبت لحصلت على تقدير ادبي قيم وعلى نطاق عالمي واسع. وفي الحقيقة هناك امكانيات هائلة وقوة عظيمة في القصة الكوردية تستطيع

بها ان تقف في مصاف الروايات العالمية والمسرحيات الشهيرة ومع هذا فان هذه القصص ما هي الا نتاج لمراحل معينة اما بالنسبة للنتاج القصصي في هذه السنين فاستطيع ان اقول ان ليس هناك نتاج قصصي

---

(١) هو احمد شيخ الياس من عشيرة خاني ولد سنة ١٦٥٠م وتوفي في سنة ١٧٠٦م "ويعتبر من خيرة شعراء عصره ان لم نقل من خيرة من انجبهم الادب الكوردي وله باع طويل في الشعر القومي". (المؤلف).

في المستوى الذي كان عليه في السابق فهل ان المجتمع الكوردي سئم القصة..؟ لايمكن باعتقادي ان يكون المجتمع الكوردي قد ملَّ القصة بقدر ما ان يكون قد مل القالبية الجامدة في القصة ثم ان القصة لصيقة بالمرحلة الاجتماعية التي يمر بها المجتمع وبنوعية الاحداث ومعاناته، والحرية الادبية كفيلة باتحاف المكتبة الكوردية بقصص مناسبة لروحية العصر يضاف الى ذلك ان انشغالات الانسان في حياة اليوم هي غير انشغالاته في حياة الامس مع اثر وجود الراديو وانتشاره حتى في المناطق النائية انزل قليلا من قيمة القصة لاسيما (القصص المحكية) التي سنتناولها في النقطة الثانية.

٢- قصص محكية:-

لقد كانت ولا تزال نسبة الامية اكثر من نسبة المتعلمين في المجتمع الكوردي ولذا كانت نسبة القصص المكتوبة اقل بكثير من القصص المحكية وعليه فالقصة المكتوبةعلى الاغلب ما هي الا جزء مقتطع من دائرة القصة الكوردية المحكية.

ان القصة كانت ولاتزال في المجتمع الريفي الكوردي تعتبر احدى الوسائل الاساسية في الترفيه الاجتماعي فالثلوج الساقطة والامطار الهاطلة، تضاف الى ذلك طبيعة العمل الزراعي الذي لا يستوجب العمل بصورة مستمرة بل بصورة موسمية جعل من القصة ضرورة اجتماعية يستسيغها المجتمع الكوردي الريفي، ويسعى اليها لسد اوقات الفراغ التي تستلزم المكوث في الدار، ونتيجة لذلك فقد ظهر للقصة دور اخر يضاف الى غاياتها الانسانية التي سبق وان ذكرناها وهو ان القصة تجمع الافراد

في مكان واحد للاستماع الى القصاص، وبهذا فهي اداة لالتقاء الافراد، فالعمل الريفي نادرا ما يكون عملا جماعيا لاسيما في حالة الملكيات الصغيرة فكل فلاح منهمك في حقله البسيط او في عمله او في القطاع المسؤول عن زراعته من املاك (الأغا) لذا فهم منتشرون في الحقول لامجتمعون والليل وطبيعة المناخ اللذين يشدان الافراد الى بعضهم في دار احدهم سواء للاستماع الى القصص ام الى الاغاني التي ايضا قوامها القصة والتي سنتناولها فيما بعد.

٣- القصة الشعرية (الشعر القصصي):

وقد يقوم احد الشعراء الكورد بصياغة قصة كاملة صياغة شعرية او ان يكون تسلسل موضوع القصيدة تسلسلا روائيا لاسيما في الفلكلور الادبي غالبا يكون موضوع الشعر قصة سواء كانت قصة طويلة ام قصيرة واقعية ام خيالية وسنتناول موضوع ماهية الرواية الكوردية ومحتواها فيما بعد وبصورة مفصلة.

٤- قصص غنائية ادبية:

قلن ان من ميزات الادب الكوردي اتخاذه في احيان كثيرة انماطاً روائية فنجد ان القصيدة الشعرية الواحدة بغض النظر عن كونها قطعة ادبية رائعة فهي قصة تروي مشاهد ووقائع حدثت فعلا[1] وسجلت في قالب ادبي شعري من شأنه ان يحافظ على وقائع الحدث،

(١) ان معظم الاغاني القصصية مستمدة من حوادث واقعية.

وكثيرا من هذه القصائد ذات الصبغة القصصية تلحن فتصبح اغنية تتناقلها الاجيال[1] وهكذا اذا ما تبخرت القصيدة من بحار الادب فانها ستحافظ على بقائها ووجودها عند عشاق الغناء والفن وبهذا يحافظ الادب الكوردي على بقائه وميزاته على الرغم من ضآلة النشر وشحة الكتب.

والملاحظ بصورة عامة ان القصائد الروائية المغناة لاسيما في بهدينان تتخذ لنفسها الحاناً كلاسيكية عميقة بينما الشعر الاعتيادي او الذي قد لا يعتمد على القصص يتخذ في الغالب الالحان الخفيفة، كلاسيكية الاغنية تمثل كلاسيكية المجتمع لذا نجد ان ا الاغنية الكوردية بدأت تخرج من الايقاع الثقيل بالنسبة للادب الجديد الملحن ومع هذا لايزال الاقبال كثيرا على الاغاني الكلاسيكية لاسيما في المجتمعات الريفية وشبه المتمدنة.

ان االسبب في اقتران اللحن الثقيل الايقاع [2] بالشعر القصصي هو ان معظم هذه القصائد وفي الغالب الاعم تشتمل على المآسي والآلام وللضرورة الائتلافية مع المعنى الدرامي كان اللحن كذلك لحنا مأساوياً وما دمنا قد تطرقنا الى موضوع الايقاع السريع والايقاع البطيء في الاغاني فأودان اوضح ظاهرة اجتماعية متعلقة بذلك وهي ان الرأي العام في المجتمعات الريفية الكوردية يقلل من شأن الاغنية الخفيفة

---

(١) اكاد اقول ان ٩٠٪ من الاغاني الكرمانجية هي قصص واحداث لها اساس وتاريخ واقعي. **(المؤلف)**.

(٢) المقام الاساسي لا مشتقاته.

ويرفع من شأن الاغنية بطيئة الايقاع والسبب في ذلك هو ان المتعارف عليه او التقليد السائد ان الاغنية البطيئة والثقيلة في ايقاعها اغنية تصلح لان يستمع اليها الرجال واقصد بالرجال هنا الراشدين البالغين بينما الاغنية الخفيفة فهي تصلح للصغار وتمثل ادوارا معينة من حياة الانسان كالمراهقة فكثيراً ما نجد ان الكبار يمجون الاغنية الخفيفة والسبب في ذلك هو ليس كون ان هذه الاغنية خفيفة والاخرى بعكسها بل السبب هو المحتوى الموجود في كل صنف من هذين الصنفين من الاغاني الكوردية، فالاول يتسم بالواقعية لاحتوائه على قصة قلنا عنها سابقاً انها وصف لاحداث وقعت فعلا، بينما النوع الثاني من اغانينا الكوردية قد يكون مجرد خيال محض او وصف لايمت الى الحقيقة بصلة مبالغة الوصفية.

ان الصفات العامة التي تجتمع بها القصة المغناة او الشعر القصصي المغنى هي ما يلي:

اولاً: التلخيص: حقا ان هناك كثيرا من الاغاني الطويلة والسبب في ذلك هو طول القصة المغناة الا ان هناك على العموم نزعة كامنة في الاغنية تحاول تلخيص الاحداث قدر الامكان، وهذه الظاهرة تجعلنا امام خاصية اخرى متداخلة مع التلخيص وهي:

ثانياً: التركيز على المواقف الاشد تأثيراً في نفسية السامع والاكثر وقعاً عليه.

ثالثاً: الايفاءت: بحيث تكون هناك نهاية او نتيجة للقصة المغناة ومن الجائز ان تكون على شكل فصول متلاحقة.

وهناك نوع اخر من القصص نستطيع ان نعتبره نوعا خامسا للقصة الكوردية وطريقة انتشارها، ذلك النوع الذي هو مزيج من السرد القصصي بالاغاني التي تتخلل هذا السرد فقد يقص الشخص القصة لاسيما القصص الطويلة وبين فترة واخرى يغني اغنية وهذه الاغنية اما ان تكون مكملة لما قصه واما ان تخدم جو القصة التي يقصها.

محتوى الادب الروائي الكوردي

قلنا ان الرواية تكتنف شعرنا الكوردي والان لنتساءل عن ماهية هذه الروايات التي تتفاعل مع الشعر والغناء لتخلد ادبا رفيعا وفناً رشيقا من حقنا ان نفخر بهما؟.

ان هذه القصائد الروائية التي نحن بصددها يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسين ولكل قسم منهما دلالته النفسية والاجتماعية:-

اولاً: قصائد تروي قصصا لمعارك نشبت بين قبيلة واخرى او بين زعيم قبيلة واخر، وهذه المعارك ما هي الا ظاهرة اجتماعية امتازت بها مجتمعات كثيرة لابل كل المجتمعات في حياتها البدائية فلو لاحظنا المجتمع العربي مثلا لوجدناه لايخلو من معارك خلدها الادب العربي عبر التاريخ بقصائد رائعة حية.

اذن فالقصائد الروائية من هذا النوع والتي سنتناولها في موضوع ادب المعارك، تتميز بطابع حربي وسنجد ان الادب الكوردي يمجد القوة في النواحي الوصفية ولااقصد بهذا قوة السلاح والغلبة فحسب بل كثيراً ما نجده بجانب القوى الخيرة وان كانت خفيفة في سلاحها وطاقاتها ومقوماتها القتالية، فالحلم والعفو والاحتكام الى شيوخ القبيلة من

مثاليات ادبنا المتمثل في قصائدنا الشعرية وحكمنا وامثالنا، ويندر اليوم النظم في هذا النوع من الادب نتيجة للتغير الاجتماعي الذي هو صفة لمعظم المجتمعات ذات القابلية على التطور الحضاري حيث كلما تطور المجتمع حضاريا كلما ابتعد عن الحياة (القبلية) والسلطة العشائرية وبدا نظام الحكومات اوضح في تنظيمه الاجتماعي.

ثانياً: قصائد تروي قصصاً عاطفية ملتهبة قوامها التقاليد الصارمة والقواعد الاجتماعية الصلبة التي اذا ما جوريت واطيعت في وضعيات خاصة احدثت انفعالات نفسية وازمات عاطفية تجد لنفسها في الادب منفذاً ومتنفساً فنجد تلك الانفعالات العاطفية متجلية ومتجسدة بوضوح في الشعر الكوردي اما اذا ما كسر طوق التقاليد ولم تجار تلك القواعد الاجتماعية التي اكتسبت صفات قانونية متعارف عليها في المجتمع في وضعيات خاصة حدث ما يسمى (بالمشكلة الاجتماعية) وذلك بسبب خرق النظام الاجتماعي وعندئذ تجد هذه (المشكلة الاجتماعية) نفسها في قلب الاديب مرتعاً خصبا فتصاغ في قالب ادبي بديع لتكون قصيدة شعرية روائية، ومما يزيد في روعة الشعر الكوردي من هذا النوع انه يروي الاغلب قصة واقعية منتزعة من الواقع الاجتماعي.

ان الروائية في الادب الكوردي ووجودها كحقيقة قائمة ليست وليدة الصدفة والاتفاق بل هناك عوامل حدت به الى ان يتخذ من الروائية عاملا مهما في انشاء صرح الادب الكوردي وسنتناول ذلك في الفصل القادم.

التفسير النفسي والاجتماعي للمحتوى الروائي

في الادب الكوردي

لقد ذكرنا آنفا ان الميزات التي يمتاز بها الادب الكوردي هي ليست وليدة الصدفة، اذن هناك دوافع ومسببات تبرز هذه الخصائص والميزات التي تحدد لنا شخصية الادب الكوردي ومنها نستطيع التعرف على شخصية المجتمع الكوردي. وهنا سنحاول التغلغل الى الجذور الاجتماعية والنفسية للادب الكوردي للخروج بمسبباته وعوامل مقوماته في المجتمع. وعند ذكرنا للمحتوى الروائي في الادب الكوردي آنفا قلنا هناك قسمان رئيسان في الادب ولكل منهما دلالته النفسية والاجتماعية ولنبدأ بالقسم الاول كي ننفذ الى الدوافع النفسية التي يتأتى عنها هذا النوع من الادب الذي يروي المعارك.

اولاً: تفسير الادب المعركي - الملحمي:

هو الادب الذي يروي في ثناياه قصصا عن وقائع واحتدامات عنيفة لاتفتقر الى عدد كبير من الضحايا ونستطيع القول مقدماً ان هذا النمط الادبي يعود الى نوعية العلاقات الاجتماعية السائدة لاسيما في الريف والمحيط العشائري من المجتمع والتي تدخل في تكوين وتركيب بيئة المجتمع ككل.

ولقد تغلغلت مفاهيم القوة في نفسية الفرد الكوردي بحيث اصبحت ميلاً اجتماعيا، فمن ملاحظاتي الشخصية لاسيما في الريف والمناطق العشائرية ان الاغنية الشعرية التي تصف معركة من المعارك بين قبيلتين او تصف قوة انسان واحد استطاع ان يتغلب على مجموعة او وصف اي احتدام دار بين قريتين وصفا دقيقا استعراضيا للعدة والسلاح والاشتباك والنتائج، اقول ان هذا النوع من الشعر لاسيما المغنى منه يأسر قلب الشاب الكوردي الى مدى بعيد فيجعله مشدوداً الى الوصف بكل جوارحه لان هذه القصيدة او تلك الاغنية تغذي ميلا نفسياً بذر في نفسيته فبنتيجة التوارث الاجتماعي وطبيعة الحياة عنده تكون هذا الميل الذي سميناه ميلا اجتماعيا نتيجة تغلغل مفاهيم القوة في نفسية الفرد وهناك ظاهرة فيها شيء من الغرابة من الناحية السيكولوجية وهي ان المرأة الكوردية بدورها ايضا شغوفة بالشعر من النوع الذي ذكرته فهي تستسيغه الى حدود بعيدة ولعل السبب في ذلك يعود الى ان حياة المرأة الكوردية في الريف لا تختلف كثيرا عن حياة الرجل وسنتطرق الى ذلك في مجال اخر.

ان الاهمية المعطاة لهذا النوع من الشعر الكوردي الذي يصف معارك نشبت يعود الى عامل دفاعي فيه ضمان المعيشة بالنسبة لافراد المجتمع الكوردي، فالقوة في مثل هذا النوع من المجتمع ولاسيما العشائري اساس للمحافظة على وسائل العيش من ان تقع بيد قبيلة اخرى لاسيما اذا كانت السلطة الادارية بعيدة عن المنطقة اضف الى ذلك ان القوة من دعائم الزعامة القبلية والحفاظ عليها.

كما ان قدسية الاخذ بالثأر مازالت قائمة تؤدي دورا مهما في حياة المجتمع الكوردي لاسيما العشائري منه ويتجلى ذلك في كثير من قطاعات ادبه وان كان الاخذ بالثأر يبدو اليوم اقل حدة عما كان عليه بالامس.

اذن ومن خلال قصائد كثيرة نلاحظ ان عنصر الشجاعة يؤدي دوراً مهما في تكوين شخصية مثالية، وفي مراحل تاريخية من حياة مجتمعنا الكوردي بولغ كثيرا في اهمية هذا العنصر واقصد الشجاعة الى حد الارتفاع به فوق جميع العناصر الاخرى التي تدخل في تكوين الشخصية ومقوماتها فباتت الشجاعة هي الكل في الكل لقياس الشخصية الكوردية وتقديرها، والقصيدة الآتية تصور لنا شاعرا كورديا يثير الحماس في نفوس ابناء عشيرته (وهو الشاعر بابا راخ الهمزاني) ولقد عاش هذا الشاعر في القرن الثالث الهجري وقتل في احدى المعارك التي كان يقودها الامير جعفر الهكاري في جبال (داسن) ويعتبر هذا الشاعر على الرغم من قلة المصادر عنه وعدم توفر كل ما نظمه في حياته شاعراً ملحميا في المعارك يثير النفوس ويشحنها عزيمة وقوة ومن ثم يشترك في المعارك اشتراكاً فعليا ودليلنا على ذلك استشهاده في خضم المعركة مع الامير جعفر وفي هذه القصيدة يخاطب الشاعر ابناء (داسن).

ايتها الفرس الاصيلة
اسرعي في ميدان المعركة
ايها السيف...
انقض على رؤوس الاعداء بقوة
واصرخ في وجوههم.. بجرأة
واعمل ما بوسعك في رقابهم
ان ابناء (داسن)

بدروعهم القوية... تغطي اجسادهم
يماثلون البطل (روستم) في قوتهم
ولكي تقولوا يا ابناء داسن
ان الامير جعفر
لن يطأطئ رأسه لاحد
فالموت احلى بكثير من ذل العبودية
وقتالكم هذا الدٌ بكثير من بقائنا
قابعين في دورنا
ياابناء داسن هلموا الى المعركة سوية
فان احتدام المعركة في عرفنا...
شيء جميل كالرقص
عندما يتقدمكم الامير جعفر
ازأروا كالاسود
ولن تخيفكم كثرة العدو

قلنا ان الشجاعة تؤدي دورا في تحديد شخصية الفرد الكوردي عبر التاريخ وحتى اليوم في المجتمعات العشائرية على ان التقدم الحضاري (ولو بصورة نسبية) الذي واكب حياة المجتمع الكوردي قلل من حدة الاهتمام بهذا العنصر بدليل اننا كلما ابتعدنا الى الوراء في تاريخ الادب الكوردي وجدناه اكثر شمولا على قصائد الشجاعة والسيطرة والاقدام والغزو والثأر والعكس بالعكس... مع تأكيدنا على الشجاعة وارتفاع مستوى تقديرها من قبل المجتمع الا ان هناك من الصفات التي كثيرا ما تمتزج وتتداخل مع الشجاعة وتتجلى في الادب الكوردي هذه الصفات وتعتبر ايضا من مثل المجتمع الكوردي ومن مقاسات شخصية الفرد وهي

وان كانت قد امتزجت بمفهوم الشجاعة فانها اعطت بذلك مفهوما اوسع واشمل للانسان الشجاع، ويحاول الشاعر الكوردي الفذ احمد الخاني ان يجمع الصفات المثلى للكورد كما ويمكن ان نستشف من قصيدته الم هذا الشاعر بان تكون هناك نسبة كبيرة من المعارك والاقتتال في المجتمع الكوردي فهو الذي يقول في مقطع من قصيدة طويلة:

النبل وعلو الهمة والكرم[1]
والرجولة والجلد
من صفات الكورد...
لقد ماثلوا الاسود
في الهمة والشجاعة
اغيار في شجاعتهم
اباة لا يتقبلون المساعدة ذلاً
ومع ذلك فهم في تطاحن مع البعض!!

يضاف الى كل ما ذكرته ان المعارك على اختلاف اسبابها ودواعيها بعد وقوعها تقترب من مثاليات المجتمع اذ لابد ان يكون المجتمع واقصد هنا الرأي العام بجانب احد الطرفين فهناك طرف معتدٍ وطرف معتدى عليه او شخص ظلم او قبيلة اعتدت واخرى كالت لها الصاع صاعين فالرأي العام بطبيعة الحال او الاتجاه الاجتماعي سيكون مع الطرف الثاني في كلا المثالين وبلا شك هنا تأخذ هذه المعارك طريقها لتخلد

(١) القصيدة المدونة في كتاب تاريخ الادب الكوردي للاستاذ علاء الدين السجادي، ولكن ليست كلها ويستطيع القارئ الاطلاع عليها في كتاب "مهم وزين" طبع الاستاذ موكرياني.

بقالب ادبي شعري متفق مع القواعد الاجتماعية ومعاييرها فتبقى وقائع تلك المعركة واسبابها وظالمها ومظلومها ثابتة لايمكن تبديلها لانها نظمت تنظيما شعرياً وحفظها الكثيرون وتوارثوها اما الرغبة ادبية او الرغبة فنية غنائية، فهي بصورة غير مباشرة حفاظ على نقاوة الموضوع وثبات ملابساته واحداثه، وهكذا اصبح المجتمع الكوردي يعتبر نتاجه الادبي دستورا اجتماعيا يهتدي به في كثير من معضلاته، واني اذ اقول (دستورا اجتماعياً) لا اعني بذلك ان الادب الكوردي مخلد بمجلدات يعود اليها الافراد لتفسير وحل مختلف القضايا والمشكلات او بعبارة اخرى لا اعني ان الادب دستور قضائي كلاً بل اعني بذلك ان هذا النتاج الادبي يحدد معالم شخصية المجتمع الكوردي من ناحية كما انه يصبح عرفاً متفقاً عليه بنتيجة تكون الاتجاه الاجتماعي ازاء الحدث او الموضوع سواء كان ذلك بالتأييد ام النبذ وهنا تؤدي الحكم والامثال دوراً مهما في الموضوع نفسه وذلك بتعريف الفرد سواء بصورة مقصودة ام غير مقصودة على القيم الاجتماعية وعلى الاساليب التي اتبعها المجتمع ويتبعها في حل مختلف الازمات والمشكلات التي تعترضه سواء على نطاق ضيق ام واسع ولماذا انتهج هذا النوع او سلك ذلك السلوك ازاء حادثة ما ولم يسلك سلوكا اخر فيصبح هذا الاسلوب او ذلك النهج شيئا بديهيا متعارفاً عليه في الحياة الكوردية حيث ان الادب الكوردي يزخر بالعظات والعبر والمثل هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الادب الكوردي يكشف لنا طبيعة المعضلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع.

اعتقد مما تقدم اصبح بامكاننا القول ان هذا النوع من الادب الذي يصف وقائع وحروباً لصيقة بالمجتمع العشائري والريفي اكثر منه بالمجتمع المدني او مجتمع المدينة الذي تخف فيه حدة النزعة في الشجاعة القتالية وهي ظاهرة ليست خاصة بالمجتمع الكوردي فحسب بل تنطبق على سائر المجتمعات.

تفسير الحب في الادب الكوردي:

دعنا عزيز القارئ ننقلب الى القسم الثاني من مقومات الادب الكوردي وذلك الذي قلنا عنه انه قائم على اساس الحب والعاطفة. ان الحب بمفهومه الواسع و اقصدبه حب الحياة عامة او بالاحرى نزوع الانسان الى السعادة سواء تمثل هذا الحب بعلاقة عاطفية بين اثنين تحابا ام حب انسان لمهنته ام للطبيعة ام لاخيه.. ام حب ام لطفلها.. الخ من ادوار الحب.. ما هو الا تكوين وتركيز للعواطف ازاء الشيء فمحصلة هذه العواطف والتقائها عند المرء تكون لدينا مفهومة الحب الانساني وهذه المحصلة العاطفية التي تحقق سعادة الانسان في الحياة عند وصولها حالة الاستقرار والتحقيق هي في الحقيقة الدافع الذي يجعل الانسان يحيا ويرغب في الاستمرار في الحياة والمحافظة على بقائه سواء كان المجتمع الذي ينتمي اليه الفرد مجتمعا بدائيا ام ريفيا ام متمدناً فلقد عرف الحب منذ الازل القديم وسيبقى وجوده مقترناً بوجود الحياة والانسانية، حقا ان كل انماط الحب وانواعه المتعددة تعتبر دوافع للادب ذلك ان الادب تعبير عن الحياة فالحب بهذا المفهوم دافع للتعبير عن الحياة ايضا، ولكن هناك تفاوت في انواع الحب المتعددة بالنسبة لاثارة

الانفعال النفسي لدى المرء، فللانفعال اثره المباشر في خلق الادب لدى الاديب والانفعال في الحقيقة ما هو الا مظهر للعاطفة وعنه ندركها، فنحن على سبيل المثال لاندرك الكهربائية ولكننا ندركها عن طريق مظاهرها المحسوسة كالضوء والحرارة والحركة فللحب ايضا انفعالات هي في الحقيقة مظاهر عنها تدرك العواطف وبالنسبة لموضوعنا هي التي تحدد كمية ونوعية الادب الذي ينتجه الاديب، وتختلف هذه الانفعالات باختلاف نمط الحب لدى الانسان، وكمثال على ذلك لنفرض ان لدينا شاعراً كان يمتلك ساعة ذهبية تذكارية يعتز بها ويحافظ عليها من سنين عديدة ثم فقدها، ان فقدان الساعة التي كان يحبها هذا الشاعر اثار في نفسه انفعالاً نفسياً، وقد يكون هذا الانفعال بالمستوى الذي يجعل هذا الشاعر ان يعبر عن مشاعره بنتاج ادبي شعري ولكن مهما كان انفعاله بالغا وشعره رقيقا بالنسبة للمثال الذي ذكرته فانه لايفوق انفعال الشاعر نفسه لو انه فقد احد ابنائه واراد ان يرثي طفله المتوفي بقصيدة شعرية وهكذا تتفاوت مستويات الحب عند الانسان، ولنفرض ان هذا الانسان عثر على ساعته المفقودة فان الموضوع سيثير عنده انفعالا ولكن هذا الانفعال اقل بكثير من انفعاله لو انه سمع بان قضية موت طفله كانت مجرد اشاعة او اكذوبة.

ففي الحالة الاولى ظهر عند هذا الرجل انفعالان مؤلمان قوامهما (الفقدان) ولكنهما مختلفان في شدتهما.. وفي الحالة الثانية ظهر عند الرجل نفسه انفعالان مسران قوامهما (اللقيا) ومختلفان في شدتهما ايضا.

ان المهم في الموضوع ان العاطفة تكمن وراء هذه الانفعالات سواء كانت انفعالات تبعث على الالم او انفعالات تبعث على السعادة يضاف الى ذلك ان الانسان حريص على ما منع منه فكثيراً ما نجد ان الادب الكوردي يزخر بقضايا الحب بصورة عامة وبالمفهوم الذي نوهنا عنه سابقا او بالحب بمعناه الخاص الذي اساسه العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة والذي يكون القطاع الاكبر من ادب الحب بمفهومه الواسع والسبب في ذلك هو سلطة المجتمع التي تتدخل في هذا الموضوع سواء بصورة مباشرة ام عن طريق ما خلقه المجتمع من تقاليد معينة او من معوقات مانعة لتحقيق هذه العاطفة للحب من هذا النوع فمن النادر جداً ان ترى في أي مجتمع كان، ان يكون هناك من يمنع حب الام لطفلها، او حب الانسان للطبيعة... الخ، ولكن من النادر ان لانجد تعثرا في العلاقات العاطفية -الغرامية- ومصاعب تحاول عدم تحقيق الغاية، ومنع تحقيق الغاية معناه تضخم في الدافع وبعدئذ تضخم في الانفعال وبهذا كان الادب زاخرا بهذا النوع من الحب.

واذا ما اردنا ان نمعن النظر في الادب الكوردي على اساس الحب نستطيع ان نجد صنفين متعاكسين فيه:

اولاً: ان الشعور بالسعادة يثير في المرء انفعالا مسراً قد يعبر عنه بنتاج ادبي، ولهذا فان السعادة في الحب وتحقق اهداف الشاعر في النواحي التي يحبها او يصبو اليها تمثل جزءاً من ادب الحب الا انه جزء يسير جداً ويندر ان نجد مثل هذه الحالة عند جميع الشعراء والسبب في ذلك ان تحقق الغاية والوصول الى الهدف يثير انفعالا سعيدا ولكنه يتلاشى بعدئذ حيث ان المرء يصل الى حالة الاستقرار النفسي، وماذا بعد تحقيق الغاية...؟

لذا كان هذا الجانب في الادب الكوردي ضئيلا وضآلة هذا الجانب تضعنا امام ظاهرة في المجتمع الكوردي وهي ندرة تحقق الغاية في الحب والسبب في ذلك يعود الى سلطة المجتمع التي قلنا عنها تدخل في اعاقة تحقيق الوصول الى الغاية، ويبدو ان هذه السلطة قوية في المجتمع الكوردي وان التقليد الاجتماعي والعرف الذي صنعه المجتمع نفسه ليقاسي منه اقوى من سلطة المجتمع نفسها في كثير من المواقف فقد يبيح للرأي الاجتماعي الكوردي بصورة آنية ولموضوع معين مالا تبيحه التقاليد التي قلنا عنها من صنع المجتمع نفسه وقد تكون هذه الظاهرة النادرة وليدة الاشفاق الجماعي لموقف معين ولكن بعد فوات الاوان.

ثانياً: ان الجانب الثاني من ادب الحب والذي يشكل المقدار الاعظم من هذا الادب الذي قوامه العواطف، فالاديب او الشاعر نجده يصف مآسي ومشكلات عاشها وعاناها هو او اناس اصطدمت عواطفهم ورغباتهم بصخرة التقاليد الصلدة، او برغبات من يفوقهم بالامكانيات المادية او بقرارات صارمة يتخذها عميد الاسرة وقد يصف الشاعر لواعج قلبه في الهجران وقد لايكون الهجر او البعاد متعلقا بموضوع التقاليد الا انه على الاكثر وكما ذكرت فان وضعية الحياة الاجتماعية الكوردية لها الباع الطويل في تقرير مثل هذه العلاقات وايصالها او عدم ايصالها الى مبتغاها.. وفي الحقيقة وجدت نفسي في حيرة عندما اردت اختيار احدى القصائد التي تعبر عما ذكرته لكثرتها ووفرتها فقد لايخلو ديوان من عدد من هذا النوع الا اني رأيت ان اضع القارئ امام احدى العبارات من قصة (مهم و زين) التى خلدها الشاعر الكوردي احمد الخاني بصياغة شعرية وارجو من القارئ الكريم ان يمعن في هذه العبارات بدقة لكي يتحسس الجو

النفسي والطبيعة الاجتماعية التي جعلت من هذه القصة مأساة رفعت من قيمة القصة الى درجة الروائع الادبية العالمية فهذا هو الامير شقيق (زين) التي احبت (مهم) يقول:

"لقد كان لي عزم والله على ان اجعل (زين) من نصيب (مهم) وان اقيم افراحهما عما قريب ولكن هاانذا اقسم اليوم بفخر اجدادي فوق هذه الارض ان لا ادع ذلك يكون لو جرت في سبيله سيول من الدماء حولي، فليتقدم الي ان شاء كل من ضجر من حمل رأسه ليتوسط او يستعمل نفوذه في ذلك".

لقد كان الامير شقيق (زين) منطقيا في موافقته على زواج شقيقته بادئ ذي بدء فكان بوده لو تم هذا القران - ويستطيع القارئ الكريم ان يستشف روح التصلب والعناد والاصرار في عباراته.

ان التحليل النفسي لا يقف عند حدود هذه العبارة او هذا القرار الذي اتخذه الامير بل يتعدى ذلك ويتحرى عن الجذور الاجتماعية لمثل هذا الاجراء ونستطيع ان نتبين عدة ملاحظات مهمة من ذلك وهي:

١- الرجل هو الكل في الكل ضمن عائلته فهو مسيطر الى حد بعيد ويستطيع اصدار القرارات بحق افراد اسرته.

٢- سطحية التفكير في القضايا التي تمس الكرامة او الشرف واتخاذ الاجراءات الحاسمة مهما كانت هذه الاجراءات مروعة في سبيل الحفاظ على الكرامة والشرف وقد يتبين بعد ذلك خطأ الموضوع او عدم صحته.

٣- مدى تأثر المجتمع الكوردي بعوامل المشاغبة والمبالغة وما تقومان به من ادوار سلبية في حياة مجتمعنا.

يضاف الى هذه الاستنتاجات الثلاثة ان هناك مشاعر تهيمن على الشخص الذي زوج ابنته او شقيقته لانسان ما وقد يكون قوام هذه المشاعر (عدم ارتياح) فباعتقادي ان الامير شقيق زين كان في لجة نفسية حادة ويعاني من الانكماش النفسي الذي يصاحب تزويج المرء لابنته او شقيقته فكأنما يشعر المرء بشيء من التدخل والسلب للحقوق على الرغم من الموافقة وانتهاء كل الامور المتعلقة ًباتمام الزواج.

ان هذه المشاعر التي وصفتها بعدم الارتياح او بالانكماش النفسي من جراء الشعور بشيء من الاعتداء على ملكية او حقوق الفرد، اقول ان هذه المشاعر هي التي كثيرا ما تسبب المشكلات البالغة الخطورة التي تحدث في يوم الزفاف فكثيرا ما نسمع بحدوث حوادث قتل في يوم الاحتفال بالزفاف، والسبب في هذا ان تلك المشاعر التي ذكرتها تدفع الرجل والد الفتاة او شقيقها ان يحقق ذاته وان يفرض وجوده وشخصيته لهذا فقد يفرض شيئا معينا أي يعاكس ويصر ويعاند الامر الذي قد يؤدي الى نتائج خطيرة مؤلمة تحول المناسبة السعيدة الى مأساة. وهنا نعود الى قصة (مهم وزين) ثانية حيث كان الامير يعاني توتراً نفسيا لاسيما انه كان قد فرغ توا من مراسيم زواج شقيقته الاولى فعندماشعر(عن طريق المشاغبة الكاذبة) بان هناك تدخلا في قضية زواج شقيقته الثانية دون علمه كان ذلك بمثابة النار في الهشيم والتي الهبت عقل الامير وبنتيجة ذلك اتخذ قراره الصارم الذي حطم قلبين متعانقين بنتيجة المشاغبة الدنيئة فقد كانت علاقتهما (مهم وزين) في اسمى درجات النزاهة الوجدانية والحب العذري الطاهر.

وقد لايكون غريبا اذا ما قلنا ان علاقتهما (مهم وزين) كانت في اسمى درجات النزاهة فهذا هو شأن الحب في المجتمع الكوردي فقد نستطيع ان نلحظ ظاهرة مهمة في قضايا الحب عند مجتمعنا الا وهي النبل الانساني الموجود في هذه العاطفة او بعبارة اخرى افلاطونية هذه العاطفة، فالحب من خلال منظار المجتمع الكوردي ما هو الا علاقة انسانية هادفة بين اثنين تحابا وتعاهدا على الزواج ولقد اوصل الادب الكوردي مفهوم الحب الى درجة التقديس الذي ينعكس على ذات الحبيب او الحبيبة وقد ذكرنا ذلك وبشواهد من الشاعر الكوردي (احمد لجزيري).

وهنا اود ان اضع القارئ امام الشاعر (بێ كەس) الذي جعل من هذه العاطفة بالذات شيئا له قدسيته، فيه يقسم وبه يستحلف فهو يقول عند مخاطبة القمر:

ايها القمر... ياشعلة الحب الطاهر[1]
استحلفك يامبعث السعادة والعاطفة والاخلاص
استحلفك بالعشق والجمال
ونسيم السحر
ان تبوح لي بمآسيك
لتخفف من وطأة الامي

ونستطيع ان نكشف عن نفسية الشاب الكوردي الذي اسر قلبه حب فتاة من خلال ادبنا وما لدينا من شعر وقصص تجده قبل كل شيء

(١) كتاب الشعر والادب الكوردي للاديب الراحل "رفيق حلمي"

وكما ذكرت نزيها في حبه بعيدا كل البعد عن النزوات الرخيصة فهو يشعر بعبء المسؤولية التي عليه ان يتحملها او بالاحرى ان يعمل ما بوسعه ليفي بالوعد الذي قطعه لحبيبته فهو مشحون بعواطف ملتهبة لها قدسيتها في نفسيته ومما يزيد في اندفاعه هو تشجيع حبيبته له وانا شخصيا اعتبر اول واهم تشجيع غير مباشر وغير مقصود هو الوضعية الاجتماعية للفتاة الكوردية التي في معظم الحالات والظروف لا حول لها ولا قوة في تقرير مصيرها.

ان الظاهرة الغريبة التي نستطيع ان نقف عليها من خلال بحثنا عن هذه العاطفة او بالاحرى نقطة التناقض الاجتماعي عند المجتمع الكوردي هي: ففي الوقت الذي نستنتج فيه قدسية هذه العاطفة ومدى القيمة والاهمية المعطاة لها نود ان يتذكر القارئ الكريم الفرق بين الادب كخيال وعاطفة وبين التقليد الاجتماعي كواقع وحقيقة لذا فالمشكلات العاطفية ذات النتائج الخطيرة ما هي الا وليدة الصراع بين عاطفة الحب من جهة والتقاليد الاجتماعية من جهة اخرى ولهذا فانا اعتبر هذه المشكلات المفاتيح الرئيسة في الادب العاطفي ولاسيما الروائي منه.

واضيف الى قضية الصراع بين العاطفة والتقليد الاجتماعي تعليلا اخر يفسر لنا سبب التناقض الاجتماعي في مفهوم الحب وهو ان سلوك وتصرفات الفرد الواحد داخل مجموعة من الافراد هي غير سلوكه وتصرفاته لو كان منفردا بالنسبة لقضية ما او موقف معين ففي الوقت الذي نجد فيه المجتمع الكوردي يعترف بالعاطفة والحب ويتجلى ذلك سواء في الادب ام في التأييد الاجتماعي لقضية ما ويناصر قضية

اثنين متحابين نجد ان الفرد الواحد من هذا المجتمع لو علم او اكتشف علاقة عاطفية تجمع بين فتى وابنته او شقيقته لتحول الى كتلة مضطرمة من الانفعالات الهياجية التي قد تذهب به وبغيره الى نتائج لا تحمد عقباها.

واقل ما يمكن اتخاذه وابسط اجراء هو تحريم زواج ابنته من ذلك الفتى بالذات وعندئذ تقف الفتاة في مفترق طريقين فاما ان تخاطر وتهرب مع حبيبها رغم كل شيء وهذا ما يحدث ولكن نادراً واما ان تستسلم الى صرامة القرار وقساوته لتقضي حياتها مجترة لآلامها.

ان هذا الاب او ذلك الاخ الذي اتخذ هذا القرار الصارم نجده بسهولة يتغنى باغان غزلية او ينشد ويطرب لاغان روائية قوامها الحب ولعل مرد هذا التناقض هو عدم الاتزان الحضاري في المجتمع الكوردي حيث اننا اليوم في مرحلة انتقال حضارية لم تصل بعد الى درجة الاستقرار او اننا لم نزل في موضع شد وضغط لتيارين حضاريين متناقضين اولهما حضارتنا القديمة والتي لم نزل عليها والثانية الحضارة الحديثة التي جاءت كنتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي ودخول الصناعة في الحياة والتي نرغب بها ايضا.

ان المجتمع الكوردي بطبيعته مجتمع يساعد على نشوء هذه العاطفة فنجد ان التباعد بين الجنسين نسبياً اقل مما هو عليه في كثير من المجتمعات فالاختلاط بين الجنسين شيء طبيعي لاسيما في المجتمع الريفي الذي يشكل النسبة العظمى من نفوس الشعب الكوردي.

فالحجاب غير معروف في الريف الكوردي والمجتمع العشائري والسبب في ذلك يعود الى ما يأتي:

اولاً: طبيعة الزي النسائي في المجتمع الكوردي الذي قوامه الاحتشام.

ثانياً: طبيعة الاعمال التي تقوم بها المرأة الكوردية في الريف وتعاونها مع الرجل في كثير من الاعمال الحقلية فضلا عن اعمالها المنزلية.

ثالثاً: ان النظام العشائري والقبلي نظام قائم على القرابة والدم وبهذا فان افراد القبيلة الواحدة او العشيرة الساكنين في قرية واحدة او قرى متجاورة تجمعهم على الاكثر علاقة قربى فتنتفي الحاجة الى الحجاب والتحجب.

اما السبب الثاني الذي يساعد على نشوء هذه العاطفة كشيء نبيل هو سحر الطبيعة في المناطق الكوردية وجمالها الذي يجعل الفرد اسير الشاعرية والجمال منذ نعومة اظفاره فينشأ الانسان وفي مخيلته معان وانطباعات عديدة عن الجمال الامر الذي يجعل فتى مجتمعنا يرى جمال الطبيعة التي ترعرع بين احضانها متمثلا ومركزاً في جمال حبيبته التي احبها (والجمال شيء نسبي طبعاً يختلف تبعا لاختلاف طبائع الافراد والفروق الفردية المتمثلة بينهم) وعندئذ سيكون اخلاصه لها اخلاصا لا شعورياً يمثل مجموع الخبرات التي تكونت واجتمعت في عقله الباطن اخلاصا لحياته ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

اذن فهذه العاطفة هي غير مخصوصة ومقصودة بل تتمثل فيها الكلية والعمومية في الحياة وبهذا كان مفهوم هذه العاطفة مفهوما واسعا، لقد قلنا فيما سبق ان هناك جانبين رئيسين في الادب الروائي نستطيع اعتبارهما قاعدتين لانطلاق الادب الكوردي وهما الشعر الروائي الذي يصف المعارك والشعر الروائي الذي يصف الحب وهنا اضع القارئ الكريم امام نوع ثالث هو في الحقيقة حصيلة جمع هذين

النوعين من الادب الكوردي فهناك من القصائد الفلوكلورية التي تجمع بين عواطف الحب ومعارك وقتال بين عشيرتين او قبيلتين فتمتزج هذه العاطفة وتشتد عندما يكون الموقف محكاً لاظهار قوة وبسالة الرجل، فنرى في الادب الكوردي قصائد تأتي على لسان الفتاة التي تصف بطولة حبيبها وفروسيته ونبله في القتال وهناك من القصائد التي تأتي على لسان الفتى الذي يتذكر وهو في خضم المعركة حبيبته التي تنتظره بشوق فيزداد اندفاعا وضراوة، فكم من قصيدة وصفت اللحظات الاخيرة التي يتأهب فيها الفتى للاندفاع نحو المعركة فيودع حبيبته او امه او شقيقته وهو وسط تيارين متنافرين، نزوعه للبقاء الى جوار من يحب ونداء الواجب القبلي المقدس بالعرف العشائري.

وهنا يبرز دور المرأة التي من واجبها ان تشجع هذا الفتى او هذا الرجل وتدفعه قدما ليعود مرفوع الجبين بعد ادائه للواجب.

وهذه احدى القصائد الفولكلورية التي ترينا مدى اهتمام المرأة ببسالة الرجل واسم هذه القصيدة (ئايشه كول)[1] وهي على لسان فتاة تشجع خطيبها قبل المعركة:-

ايها الفارس اذا كنت متأهبا للسفر نحو المعركة
تعال لاعطيك قلائدي الذهبية
والتعاويذ المنقوشة على صفائح الذهب
وهاك اقراطي
ودع الصائغ يصوغ لك من هذا الذهب

(١) قصيدة فولكلورية اخذت من كتاب (**فولكلوري كوردي**) من جمع الاستاذ محمد توفيق وردي.

قبعة حربية صلدة
وغمداً لسيفك وليرصع لك الخنجر بالذهب
ايها الفارس اذا تسلل الخوف الى قلبك يوم المعركة
واذا لم تصمد امام مائة وخمسين من رجال مه واليان[1]
ساحرم الحديث معك ولن تنعم بي

وبعد سفر سعيد بك خطيب (ئايشه كول) الى المعركة تصف هذه الفتاة مشاعرها والامها وتقسم مع نفسها ان تحرم حتى الحديث عن الحب مع صديقاتها واخيرا فان سعيد بك يقتل في المعركة وتسمع (ئايشه كول) بنبأ مقتله فتقول:

ايها الملأ... تعالوا لنجتمع هنا
لنبكي بحرقة لنتفجع هذا القتيل
هيا لنحمل جثة الفارس العربي[2]
على عيدان الحراب
ودعوني اجلل جثته بضفائري المسترسلة
ولنأخذه الى بير داود
وهناك نواريه التراب
ولكي لا يقولون ان هذا الفارس مجهول
قتيل في ارض العدو وغير معروف

---

(١) اسم العشيرة المعادية

(٢) مصطلح قديم في اللغة الكوردية يطلق على من يستبسل في ساحة المعركة ويستشهد بعد ان يحارب بضراوة واندفاع. **(واعتقد ان هذا المصطلح ظهر بعد دخول الاسلام الى المناطق الكوردية).**

وكثيراً ما يريد الشاعر ان يصور لنا مثالية الحياة الاجتماعية الكوردية عن طريق اخضاع الموضوع لصراع محرج كالصراع بين الواجب والعاطفة او بين المنطق والوجدان فعندما تودع الزوجة زوجها او الفتاة خطيبها الذي سيرحل من اجل اداء الواجب تلبية لنداء قبيلته او عشيرته تودعه بكل جرأة مشجعة اياه فتبدو للقارئ او السامع للادب الكوردي المثل الاجتماعية العليا المتعارف عليها وهنا اود ان اذكر القارئ الكريم ان هذا ليس هو السبيل الوحيد لاظهار هذه المثل بل قد يكون العكس احيانا مؤديا للغرض نفسه واظهار مثل الانتماء القبلي، فقد يصور الشاعر المرأة كأنثى ضعيفة غير قادرة على مجابهة الحياة وحدها وضرورة بقاء الرجل (زوجها) بجانبها ليذود عنها ويؤمن حياتها، فهناك من القصائد التي يظهر فيها نداء الزوجة لزوجها تحاول ان تستبقيه بعيدا عن المعركة والاقتتال فيعيش الزوج في صراع وقلق وفي محك لاظهار انصياعه وايمانه بمثله الاجتماعية وفي القصيدة التالية للشاعر الكوردي (علي الترموكي)[1] نلاحظ المحاورة التي حصلت بين زوجة شابة جميلة وزوج على ابواب الذهاب الى المعركة يحاول فيها الشاعر تغليب مصلحة الكل على مصلحة الجزء والعام على الخاص فتحقيق الذات الرجولي من متطلبات الحياة الاجتماعية الكريمة:

---

(١) **علي الزموكي**: بعد الاستفسار عن الاستاذ كيوموكرياني افاد ان الشاعر **(علي الزموكي)**: بعد الاستفسار من الاستاذ كيوموكرياني أفا: ان من عشائر الحكّاري عاش قريبا من بلدة **"ماكو"** في القرن العاشر الميلادي وقامت **(المسس بول)** بترجمة اشعاره الى الفرنسية واعاد ترجمتها الى العربية الاديب الراحل رفيق حلمي.

الزوج:

آه هيفائي، يا حسنائي البيضاء يا شقرائي الجميلة

ها انا اودعك في ظل هذه الشجرة

حيث قد شعرت بنظرتك الاولى تقع علي

اذا كنت قد اودعك امام هذا الينبوع الذي يزمزم

لاهداء تحياتي الى الحقول الخضر...

امام هذا الينبوع حيث عيونك

قد ابتسمت لي للمرة الاولى

اذا كنت قد اودعك امام هذا الينبوع المتدفق

حيث قد جلست بجانبي لاول مرة

ذلك لان قلبي الحزين يقول لك

(اقرئي في عينيّ يمينا)

قد لا تعبر شفتاي عن اخلص منه

ثقي بالرجل الذي يليق قلبه بحبك

وبحب قومه...

الزوجة:

لماذا تتركني...؟

الا تريد ان تسمع الصراخ الاول لطفلك...؟

اذا كنت مدينة لحياتي الى الله

فأليك يجب ان اسند الفضل في امتلاكي مقراً

انك انت الذي قد وضعت ابتسامة الانوثة على شفتي العذراء.

فلا تذهب عني وابق معي انا ما زلت فتاة صغيرة

لم تعلمني السنون

لأسلي نفسي في وحدتي

الزوج:

آه يا شقرائي الجميلة

كم انت بليغة...

ان قبلاتك كانت تهزني

كانت قد تصيبني في فؤادي

ولكن كلماتك قد تحطمني

في اللحظة التي احتاج فيها الى كل قوتي

تجعل من فراقنا اكثر مرارة

كالموت الذي ينتزع الحياة عنا

ان واجبي (ينتزعني) من بين احضانك

هدئي نار هواك

لا تؤلميني بانفعالك اكثر من هذا

الذي يجعل آلامي لا تحتمل بعد

ان ساعة التضحية قد دنت

يا حسنائي ذات القرط الذهبي

يا حبيبتي ذات الشعر الجميل المعطر

انت... التي عرفت كيف توقظين حبي

اخلقي في روحي قوة لا تغلب

والفظي الكلمة التي انتظرها من فمك

وبكل ثقتك النسوية احتضنيني

الزوجة:

سوم! سوم! اصغ الى زفراتي

كن حساسا تجاه مصيبتي

لا تتظاهر بالصمم

لا تشرد عن فؤادك

عندما تكون الشمس في الافق

سترسل اخر شعاع من اشعتها الصفراء

وجاراتي يغلقن ابواب دورهن... في المساء

عند ذاك ستتدفق من عينيَّ دمعتان

ولا يمكن تسليتي باي شيء

ولربما سأبكي هكذا

واخيرا سيتركني طفلك

سوف اتوسل اليه مرتجفة للبقاء معي

حيث انني ساكون خبيرة بالاشجان.

ولا يمكن ان اقاسيها مرتين...

وهو سيتعجب كيف ان والدته...

تريد منعه ان يحذو حذو والده

الزوج:

آه يا حسنائي اللطيفة

من المحزن ان يفكر الانسان في ربيع حياته بالخريف

ولكن ثقي بانني سوف اعود

لاقتطاف الاعناب الناضجة

ولو كان المحاربون كلهم يموتون لم تكن تقع الحرب بعد

تقربي واسمعيني مرة اخرى

ان هذا القلب الذي لا يدق الا لاجلك

الرجل الذي تحبينه انت سعيد دائما

آه ايتها المرأة الرشيقة ذات الخصل المعطرة

انت التي لا انساها ابدا...

اعلمي ان فؤادي سيخلص لك حتى الموت

سيخلص لك حتى تحت صخرة اللحد...

العاطفة في الادب الكوردي

العاطفة في الادب... هي الروح التي تسري في الجسد الشعري فتحيل الشعر قواما حيا تمنحه الحياة وتجنبه الجمود، فاذا كانت العواطف معاني خرساء فما الشعر الا لسانها واداة التعبير والافصاح عنها، والعواطف الكامنة في الشعر هي تلك العواطف التي تأثر بها الشاعر خلال حياته وفي مختلف المواقف وبهذا فيمكن دراسة شخصية وحياة الشاعر النفسية من خلال تفحصنا لنسب العواطف في شعره وانواعها ومدى تأثره العاطفي تجاه موقف معين ومدى استجابته، فقد يختلف الشاعر عن اخر في مدى استجابته لموقف ما تبعا للفروق الفردية التي تميز شخصية الاول عن الاخر فتضعنا امام موضوع اختلاف البيئات في تحديد الشخصية واختلاف الاستعدادات الفطرية في تحديد شخصية كل شاعر لا بل كل انسان، ومن ثم تحديد مدى الاستجابة للمواقف المختلفة وللعواطف المتباينة.

واذا ما اردنا الكلام عن العاطفة في الادب الكوردي فبوسعنا ان نقول ان العواطف الرئيسة تتجلى فيه بوضوح وهي عواطف الحب والكره كما نستطيع ان نلحظ العاطفة في الادب الكوردي متخذة لنفسها الاتجاهين الرئيسين في العواطف هما:

١- العواطف المتعلقة بالنواحي المادية أي المتعلقة بالمحسوسات كالاشخاص والموجودات الاخرى في حياتنا.

٢- العواطف المتعلقة بالنواحي المعنوية كالصفات والمثل... الخ واود هنا ان اذكر القارئ الكريم بان مفهوم العاطفة في الادب الكوردي لا يقف عند حد العلاقات الغرامية بل هي كوجدان تتصل بنواح متشعبة في الحياة فالعاطفة الدينية مثلا تعتبر نقطة انطلاق شعري لكثير من الشعراء لا سيما شعراء المتصوفة وفي الحقيقة يمكن ان يكون هناك زيف في العواطف مهما كان نوعها الا اننا نستطيع ان نشاهد نسبة لا بأس بها من صدق العواطف في ادبنا الكوردي وفي كثير من نواحيه ومرد هذا الصدق العاطفي هو احد سببين.

اولا- اما للواقعية البحتة او شبه البحتة في الموضوع.

ثانيا- اما لتكافؤ الوصف العاطفي مع فكرة الاديب بغض النظر عن مدى الواقعية فيها أي (في الفكرة) وفي خلال ملاحظتنا للادب الكوردي بصورة عامة ودون الاقتصار على ادب عدد معين من الشعراء او الادب لفترة معينة نجد ثمة ظاهرة وهي اقتران العاطفة بالتعظيم والاحترام واني اذ اضع هذه الظاهرة امام القارئ الكريم لا اعني بها انفراد الادب الكوردي بذلك ولكننا نستطيع ان نجد ما ذكرته من اقتران العاطفة بالاحترام بصورة قد تكون جلية وواضحة...

ان من المفروض ان يحترم الانسان من يحب، ولا يقتصر هذا الاحترام على العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة فحسب او بعبارة اخرى ان هذه الظاهرة ليست لصيقة بالشعر الغزلي او الغرامي فحسب بل

تنعكس على جميع اصناف الشعر العاطفي (حيث لا يشترط ان يكون الشعر في جميع احواله شعرا عاطفيا) فانت عزيزي القارئ تحب طفلك بطبيعة الحال أي تكن له عاطفة ابوية، وبهذا المعنى فأنت تحترم شخصية هذا الانسان (طفلك) ككيان له حقوق في الحياة يجب احترامها وتأمينها له اذن فالاحترام مقترن بالحب لاشك في ذلك ولكن نسبة ظهور هذا الاقتران او هذا التمازج بين عنصري الحب والاحترام يختلف بالنسبة لاختلاف الشعراء واتجاهاتهم ومزاجهم ويختلف بالنسبة لاختلاف ادب عن اخر.

الا انه وعلى الرغم من قولي بان ظهور الاحترام ليس لصيق الشعر الغزلي بل هو عام فانه يظهر في الغزل بصورة واضحة ولم اقل انه يظهر في المديح ان يكون حاويا لعنصر الاحترام. ولهذا فمن الممكن ان نقول ان الغزل في الادب الكوردي غزل محتشم الى حد بعيد له حدوده التي لا يتعداها والتي وضعتها سمة الحياة الاجتماعية الكوردية فبات كل ما وراء تلك المحددات ممجوجا لا يتفق والمناخ النفسي العام في المجتمع، ومع هذا فهناك من النتاجات الشعرية التي تعدت هذه الحدود الى درجة بعيدة وعلى أي حال فأنا شخصيا لا اعتبر مثل ذلك الشعر غزلا بقدر ما اعتبره، شعرا لا اخلاقيا واعتقد اني لست منفردا في رأيي هذا.

ولنتساءل الان عن دواعي هذا الاقتران في الادب الكوردي، اقتران العاطفة بالاحترام من الممكن ان نعلل ذلك بنواح ثلاث سواء كانت منفصلة او مجتمعة في تأثيرها على العاطفة في الادب الكوردي وهي:

اولا: ان جزءاً كبيراً من الشعر الكوردي نظمه شعراء من رجال الدين بعد ظهور الاسلام واتسم نظمهم او تأثر بمجال اختصاصهم ويمكن النظر الى الموضوع بالسنبة لهذه الناحية من زاويتين:

أ- ان رجل الدين من صفاته الاخلاق فهو رقيق في اسلوبه محترم للكل فلو تحدثت الى رجل دين لاستطعت ان تلمح بسهولة اخلاقية الكلام واحترامه لك ولغيرك، وبهذا تنعكس نفسية رجل الدين على شعره حتى وان كان قد نظم في الغزل او أي شيء اخر.

ب- ان النسبة الكبيرة من شعرائنا الذين كانوا رجال دين نظموا في التصوف تلك الفلسفة التي اثرت على الادب الكوردي وغيره من الاداب لا سيما الادب العربي، ولهذا فان صفة التصوف قد انعكست على اشعارهم حتى في الابيان التي هي غزل صريح لذات الحبيبة لا لذات الله وان كان التصوف يبرر هيام الشاعر من هذا النوع بفتاة او امرأة وتعشقه لجمالها وتغزله بها ذلك انه يرى جمال الله منعكسا على المحسوسات في الحياة فتعشقه لا لذات المحسوس بل لذات الاله...

ولنتفحص بعضا من النتاجات الادبية لشعرائنا الكورد للتدليل على ما ذكرناه فلو لاحظنا شعر الشيخ احمد الجزيري (مەلای جزیری) لوجدناه يسبغ صفة القدسية والتعظيم على ذات الحبيبة[1] فضلا عن انه يعيد جمال حبيبته وهيامه بهذا الجمال الى مصدر الهي ميتافيزيقي، ولو اردنا تحليل صفة التقديس في الحياة لوجدناها حاصل

(١) لقد كان الشاعر احمد الجزيري مغرماً بفتاة احبها الهمته الشعر واسمها **"سلمى"**.

جمع الحب بالاحترام فنحن نقدس الشيء الذي نحبه ونخشاه في آن واحد، فنلاحظ ان الشاعر (مەلای جزیری) كثيرا ما يستعمل كلمة (سيدتي) في قصائده، فهو الذي يخاطب حبيبته بكلمة (خانم) وتطلق هذه الكلمة على المرأة احتراما وتقديرا في اللغة الكوردية.

صباح سعيد... يا سيدتي[1]
ايتها الشهد على لساني
انك الروح... فديتك اياها
تعالى الله... أي ذات انت!!
لقد اسبغ عليك كل صفة جميلة
ولقد فقت السكر حلاوة
فعدت مؤمنا انك الروح والحياة
صباح سعيد... يا خانم
اقتربي ودعيني اراك
لتنعم عيناي بقدك المشوق

وهنا تجد الاستاذ الشاعر (مجيد ئاسنگەر) يصور الحبيبة في شعره بالاميرة فيقول:

اميرتي وحبيبة قلبي
ان الربيع يخجل منك
يا زهرة في روحي الاسيرة
ان سهامك في القلب

(١) ديوان الشيخ احمد الجزيري وقد قام بطبعه الاستاذ كيوموكرياني

وطبيعي ان جعل الحبيبة في مصاف الاميرات معناه رفع منزلة هذه الحبيبة الى درجة اسمى للتعبير عما يكنه الانسان لحبيبته من حب وعاطفة والتي قلنا عنها كثيرا ما تتجلى ممزوجة بالتعظيم وهنا نلاحظ نفس الشاعر الاستاذ (مجيد ئاسنگەر) يصور الانسان فقيرا معدما امام الحبيبة التي يصورها وكأنها انسان غني.... وغاية الشاعر تجسيد هذه العاطفة بادوات اجتماعية معتمدا في ذلك على العلاقة وطبيعة الادوار الاجتماعية بين الانسان الغني والفقير، ان محادثة الغني للفقير تعتبر تواضعا من الغني وسعادة بالنسبة للفقير فهو الذي يقول:

ايتها الحبيبة الوفية
تلقيت خطابك
فأشفى قلبي من جروحه وآلامه
ومن شدة حبوري
لم اقو على الكلام
ودموع الفرح انهمرت من مقلتيّ
نعم هكذا تكون رسالة الغني للمعدم الفقير..

ثانيا: طبيعة الاسلوب في اللغة الكوردية

تتسم اللغة الكوردية باسلوب يعتمد على تقييم شخصية الانسان المخاطب (بفتح الطاء) أي احترام الانسان كفرد مستقل بذاته، فالاطار العام في اللغة الكوردية يمنح تقييما اجتماعيا للمرء سواء كان ذلك عند النداء على شخص ما ام عند محادثته ومن خلال الكلام معه، فادوات المخاطبة في الحياة العامة للمجتمع الكوردي ترتدي رداء الاحترام والحب

في آن واحد واتخذت هذه الادوات، وهذه الكلمات مفاهيمها الاجتماعية في الحياة الكوردية بحيث اصبحت طبيعة غير متكلفة لا توحي بالرياء والتزلف واليك عزيزي القارئ نماذج من هذه الادوات او الكلمات المتداولة في الحياة الاجتماعية للمجتمع الكوردي وسنقوم بتحليلها لغوياً ومن ثم سنزن معانيها بمقاييس اجتماعية نفسية لنقف على حقيقة ماتوحي به.

١ـ كاكا:

من التحليل اللغوي نجد ان كلمة (كاك) يعني بها (الاخ الكبير او الاخ الاكبر) وهي تستعمل اجتماعيا كأستعاضة لما معناه (يا فلان) ولو اردنا تحليل هذه الكلمة تحليلا اجتماعيا نفسيا لوجدناها تحتوي على جزء كبير من العاطفة فعند مناداتي لشخص ما وقد اكون لا اعرفه بكلمة (ايها الاخ) معنى هذا اني توجهت اليه بعاطفتي وحبي مقدما، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فاني عندما انادي الشخص بكلمة (كاكا) معنى هذا اني قد تجنبت مناداته باسمه المجرد اذا كنت على علم باسمه واكون كذلك قد تجنت مناداته باسم جنسه كأن اقول له (يا رجل) او (يا ولد) وبهذا المفهوم فقد امتزجت عواطفنا ازاء الشخص مع احترامنا له في كلمة واحدة تستخدم نطاق واسع على صعيد الحياة الاجتماعية العامة.

٢ـ ئەزبەنی:

وتستعمل ايضا للمخاطبة والنداء في اللغة الكوردية وتحليلها اللغوي هو(انا عبدك) ولهذا فهي تعتبر قمة الاحترام وان كان قد اصبح احتراما

غير خاص وغير مقصود بل عام شامل متداول على صعيد اجتماعي، ذلك الاحترام الذي يبديه انسان لانسان خلال الحياة الاجتماعية العامة وبصورة اعتيادية، وفي الحقيقة وان كانت هذه العبارة (ئەزبەنى) والتي اساسها حسبما يعتقد البعض (ئەزبەند) تتضمن معاني من الاحترام العميق الا اني شخصيا لا اقر بقاءها لما فيه من معان عبودية واشجع التبديل البطيء الذي اخذ يظهر مؤخرا فاخذت كلمة (برا) تحتل مكان تلك العبارة، و(برا) ايضا معناها الاخ.

٣ـ ماموستا:

كلمة للنداء والمخاطبة لرجل المعرفة او العلم او المعلم وهي مركبة من كلمتين (مام) ومعناها العم والغاية من ذلك سبغ صفة الوقار عليه، و(ئوستا) ومعناها (الماهر الخبير).

التخيل وعلاقته بالعاطفة
في الادب الكوردي

للانسان قدرة على التصور... فالانسان بمقدوره استعادة ما رآه او ما سمعه او ما لمسه او ما شمه او ما تذوقه، ويستطيع استعادة كل هذه المدركات الحسية التي تؤثر على حواسه، فهو يرسم صورة عقلية للمدرك وتأثيره بعد زوال الموقف ومن هذه الاستعادة للمواقف وعلى شكل صور عقلية ينشأ الادب الواقعي... والذي سنتناول موضوعه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

ان الانسان لا تقتصر قابلياته العقلية على الاستعادة للمواقف الماضية بل تتعدى ذلك الى المستقبل، وهنا تظهر قابلية الانسان على التخيل وهي ايضا من الصفات التي امتاز بها الانسان عن الحيوان، فالتخيل بهذا المفهوم هو استحضار لصورة عقلية لم تقع في الماضي وهي غير واقعة حاليا ولكنها تكوين عقلي خاص بالفرد. ولقد تكلمنا عن العاطفة بصورة عامة، وفي الادب الكوردي بصورة خاصة، وبما ان هناك ارتباطاً وثيق الصلة بين عواطف الانسان وخيالاته فسنحاول القاء نظرة على هذه العلاقة ووجودها في الادب الكوردي.

ان قوة الخيال تكمن وراءها قوة العاطفة، فشدة العواطف تشحذ الخيال وتوسع افقه وكلما كان امتزاج المشاعر بالمواقف امتزاجا عاطفيا كلما تمخض عن هذا الامتزاج شعر صفته الخيال الواسع، فاذا علمنا ان العواطف صفة لصيقة بمجتمعنا الكوردي من حيث قوامه النفسي او بعبارة اخرى اذا علمنا ان للعواطف دوراً مهماً في تحديد معالم شخصية المجتمع الكوردي علمنا عندئذ ان الخيال سمة ملازمة للادب الكوردي.

يضاف الى ذلك ان الخيال في الادب هو القاعدة التي يرتكز عليها ويمتد عنها عنصر المبالغة الشعرية وبهذا فقد تستطيع القول بان الخيال في الشعر الكوردي ومداه وقوته يرتبط بالعاطفة والتي تبعث بالشاعر للنظم والخلق لا للنقل والترجمة لان الخيال صنع للافكار وقد تتعدى هذه الافكار حدود المادة فتبدو وكأنها غير معقولة احيانا.

ان قوة التخيل ظاهرة يمكن ملاحظتها بسهولة عند ابناء المجتمع الكوردي وكلمة (خيال) ليست بالكلمة الغريبة بل هي كثيرة التداول سواء في الشعر ام في الكلام الاعتيادي ولكننا نستطيع ان نميز بين الشخص الاعتيادي الذي يملك خيالا خصبا وبين الشاعر، ذلك ان الشاعر يستطيع ان يخضع خياله وتداعي افكاره الى تيار العاطفة، ولولا هذه العاطفة وقدرة الشاعر على اخضاع خياله لها وصياغة هذا الخيال لاصبح اذن كل الناس شعراء، وهذا ما يبرر اكتناز الادب الكوردي بالفولوكلورات الشعبية من حيث ان صياغة الفولوكلور حقا فيه عاطفة ولكنه يفتقر الى العاطفة الفردية التي لها فعلها الاقوى من حيث ان الفولوكلور الكوردي على الاغلب يروي اسطورة او قصة لم يعشها الشاعر ذاته بل عاشها اناس اخرون.

المدلول الاخلاقي للعاطفة
في الادب الكوردي

لو تفحصنا الادب الكوردي من خلال العواطف لاستطعنا ان نقف على اخلاقية مفهوم العاطفة في الادب الكوردي وقد ذكرنا فيما سبق ظاهرة امتزاج الاحترام بالعاطفة وسنحاول الان ان ننطلق من ذلك التمازج الذي ذكرناه في التعرف على طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة على اساس العاطفة والتي تتجلى بصورة اوضح في الحب والذي قوامه الاساسي العاطفة.

ان ابرز ظاهرة نستطيع ان نلمحها في الادب الكوردي العاطفي والتي نستطيع اعطاءها مدلولا اجتماعيا هي عدم زوال الكلفة والاحترام، ولقد اظهرت للقارئ الكريم طابع الاحترام في الشعر الغزلي، واود هنا ان اقول ان اضافة للاحترام المتبادل في مثل هذه العلاقات فان ذلك لا يقتصر على هذه العلاقة فحسب بل يمتد الى علاقات الزواج ايضا، فالزواج كعلاقة غير العلاقة العاطفية، وان كانت العلاقات العاطفية تؤدي الى الزواج ولكن ليس في كل الحالات طبعا بل احيانا، ويضاف الى ذلك ان المثاليات التي قد تظهر في العلاقات العاطفية كثيرا ما تنعدم او تتلاشى بعد الزواج وتظهر حقيقة و واقع كل من الزوجين وبهذا

الاعتبار نقول ان العلاقة (العائلية) بين الرجل والمرأة في المجتمع الكوردي محمولة على اسس معينة فالزوج يحب زوجته وعليه ان يخفي هذا الحب وان لا يظهر اهتمامه بأمرأته امام المجتمع والزوجة تحب زوجها ولكن هذا الحب يرتدي رداء الاحترام والطاعة وقد لا يكون غريبا لو قلنا ان في عوائل وعشائر كوردية عديدة لا تستطيع الزوجة ان تتلفظ اسم زوجها المجرد فتقول (هو قال او هو عمل... الخ) متحاشية لفظ اسمه خجلا واستحياء.

ولعلك ايها القارىء الكريم ستعلل ذلك بان الزعامة بيد الرجل في معظم المجتمعات لا سيما المجتمعات الشرقية ولذا كان المجتمع الكوردي كذلك. فالزعامة بيد الرجل في المجتمع الكوردي الا ان المهم في الموضوع ان هذه المفاهيم اللصيقة بالعاطفة تمتد الى خارج علاقات الزواج في العلاقات العاطفية والتي دللنا عليها سابقا بشواهد شعرية وبناء على ما تقدم جاز لنا التمييز بين الفتاة اللعوب وبين التي تريد ان تقرر مصيرها مع من تحب وتخلص له، فنادرا ما تستطيع فتاة لعوب ان تحيا في المجتمع الكوردي بامان، فاما ان ترتبط بحياة زوجية مستقيمة مع انسان ما، واما ان تضطر لتحمل مآسي ومشكلات النبذ الاجتماعي، وهذه الظاهرة التي يمكن ان نقول عنها (عرف اجتماعي) هي التي جعلت المجتمع الكوردي بعيدا نسبيا عن مشكلات الخيانات الزوجية ومشكلة البغاء كآفة اجتماعية، انا لا اقول ان المجتمع الكوردي خلو من مثل هذه المشكلات... كلا فشأنه شأن كل المجتمعات وليس هناك من المجتمعات التي لا تعاني امراضا اجتماعية من هذا النوع، الا اني اعتقد

ان جدية التقييم والتمييز بين المرأة الفاضلة المستقيمة واللعوب جعلت الحياة صعبة ومرة بالنسبة للمرأة او الفتاة التي تريد ان تسف وتخرج عن طريق الصواب الى حياة الرذيلة... فالمرأة التي من النوع الاخير ذا حالفها الحظ ولم تقتل فهي مضطرة لان تغادر بلدتها الى بلد بعيد ومجتمع غريب فهي مهددة بالموت في كل لحظة من لحظات حياتها.

الفلسفة في الادب الكوردي

ليس من باب المبالغة لو قلنا انه لا يمكن لانسان عاقل سوي ان يحيا حياة اجتماعية دون ان يتبنى فلسفة معينة في الحياة ليسير على مداها ولكي يبلغ كنهها وجوهرها، وبعبارة اخرى فان للانسان اهدافاً يسعى الى تحقيقها في الحياة وهذه الاهداف ما هي الا مجموعة امانيه وآماله ولولاها لاصبحت الحياة اذن ثقيلة جامدة ان لم اقل مستحيلة لا تطاق، وبهذا فان مجموع فلسفات (اهداف) الافراد في المجتمع معناها فلسفة ذلك المجتمع واهدافه العامة ككل.

والادب كتعبير عن الحياة لذا فانه سيرتبط ارتباطا وثيقا بفلسفة المجتمع ولا يمكن ان ينفك او ان يخرج عن دائرة الاهداف العامة للمجتمع ولذلك فان أي تغيير ولو بسيطاً سطحياً في النظام الاجتماعي معناه تغيير في الاهداف الاجتماعية وهذا بدوره يؤدي الى التغيير في اهداف الادب أي تبدل فلسفة الادب... لذلك فان الركود الادبي معناه ابتعاد الادب عن واقع الحياة الاجتماعية وحقيقتها بالنسبة للمجتمع الذي من صفاته التغيير المستمر وان كان هذا التغيير تغييرا بطيئا ومن ثم فلا يكون بوسع الادب اداء وظيفته الاجتماعية ورسالته الانسانية

وللمجتمع الكوردي ايضا فلسفة في الحياة والتي ما هي الا مجموع الفلسفات الفردية للكورد وطبيعي ان هذه الفلسفات تتأثر بالمؤثرات الداخلة او الوافدة على حياة المجتمع الكوردي والتي تلتقي بالاتجاهات الخارجة عنه، وشدة المقاومة بين هذه المؤثرات الداخلة والاتجاهات الخارجة عنه هي التي تحدد لنا مدى الاتزان الاجتماعي في المجتمع الكوردي وتعرفنا على مدى الاتزان الاجتماعي للكورد خطوة لوقوفنا على ملامح الفلسفة او الاطارالخارجي للفلسفة الكوردية التي تجتمع داخلها محصلة الفلسفات الفردية وعنها تنشأ فلسفة الادب الكوردي.

والان لنلق نظرة ولو بسيطة على العوامل الداخلية والخارجية التي ترسم لنا ملامح الفلسفة الكوردية:

اولا: العوامل الخارجية:

١- الدين قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره واعتناق الكورد للديانة الاسلامية.

٢- دخول الصناعة في الحياة واستعمال المخترعات والمكتشفات الحديثة كاستعمال السيارة والراديو والعقاقير الطبية... الخ.

٣- مجاورة الكورد لثلاث حضارات (الفرس والعرب والاتراك) وتاثر الكورد من جهة وتأثيرهم من جهة ثانية بعامل الاحتكاك الاجتماعي.

ثانيا: العوامل الداخلية:

١- المحيط ويشمل:

أ) البيئة الاجتماعية ونفسية الشعب الكوردي بما في ذلك طبيعة الادوار والعلاقات الاجتماعية والنظام العائلي فيه واللغة والعادات.

ب) البيئة الطبيعية، جغرافية المنطقة ومناخها.

٢- نشوء الشعور القومي والوعي للتحرر من الاستعمار ومشاركة الكورد لاخوانهم العرب في الحركات التحررية ضد التسلط العثماني والاستعمار البريطاني.

٣- المستوى الاقتصادي عند المجتمع الكوردي ومدى توفر وسائل الانتاج ومقومات الحياة.

لقد اخذ الادب الكوردي مؤخرا في الحركة رويدا رويدا وتختفي وراء هذه الحركة الادبية حركة اجتماعية اثرت على الفلسفة الاجتماعية وانعكست آثارها في مختلف نواحي الحياة لاسيما الادب.

طبيعي ان التغيير الاجتماعي مفهوم واسع يشمل جميع مظاهر الحياة سواء كان هذا التغيير تغييرا سريعا او بطيئا فهو يشمل الحياة المادية والمعنوية للمجتمع، ولا يمكن ان يكون مقصورا على جانب واحد من جوانب الحياة ومرافقها، ولما كان الادب اداة لاشباع حاجات في النفس وفق نظام اجتماعي معين اذن لابد ان يكون الادب الكوردي متكيفا لهذا النظام الاجتماعي، وعليه اقول ان ما واكب الادب الكوردي من تطور بطيء ما هو الانتيجة للتطور الاجتماعي في المجتمع الكوردي، وارجو ان لا يخيل للقارئ الكريم ان المجتمع الكوردي قد قفز قفزة حضارية فقد لا يمكن ان يكون هذا بالنسبة لاي مجتمع كان انما المقصود بالتطور هنا هو دخول الالة الى معظم المجتمعات في الشرق ومن

ثم ما عانته هذه المجتمعات من الاستعمار وشروره هيأ الفكر الجماعي واحدث وعيا في معظم هذه المجتمعات تمخضت عنها نتاجات ادبية تعتبر نتاجات متطورة شكلا ومضمونا لو قيست او قورنت بنتاجات سابقة، وبناء على ما ذكرناه فان المجتمع الكوردي وان كان مجتمعا تقليديا الى حد ما الا انه ليس بالمجتمع المتحجر الجامد بل نستطيع ان نجد فيه ملامح ومقومات التطور ومسايرة الركب الحضاري وان كانت هذه المقومات تحتاج الى شحذ وتعزيز يساعدان على حث هذا المجتمع لان يلتحق بالركب الحضاري العالمي، ان من مميزات الادب الكوردي وعلى وجه التحديد الشعر منه هي دقة التصوير، فالجمال عنصر يسعى اليه الشاعر في قصيدته سواء كان هذا الجمال كامناً في الفكرة والغاية ام في المظهر الادبي لقصيدته ونلحظ ان هناك ميلاً عاماً عند الشعراء الكورد وهو اظهار صورة الشيء التشبيهية بدلا من الشيء ذاته فالكناية الرشيقة والتحايل اللفظي والفنون البديعية اشياء عرفها الادب الكوردي واعطيت تقييما ادبيا عاليا سواء على الصعيد الادبي المحلي ام على الصعيد الادبي العالمي، لقد ذكرنا سابقا ان الادب الكوردي مثالي في اتجاهه العام من حيث هو ادب هادف فيضع معايير خلقية ومقاييس للسعادة عند الانسان والدرجة التي عندها يصبح الشيء خيرا او شرا وهو ان عالج بين طياته قضايا الخير والشر والجمال والقبح والسلم والحرب... الخ فهو يضع الانسان في هذا المجتمع على مفترق طريقين له حق الخيار منهما بعد ان يتجلى على الاكثر تطرف الشاعر ضمن قصيدته ونزوعه الى ما هو امثل في الحياة، وبهذا قد لا اكون مبالغا لو قلت ان الادب الكوردي اصبح بهذا الاعتبار مدرسة اجتماعية ارشادية لها طابعها الخلقي والقيمي ضمت في صفوفها ابناء المجتمع الكوردي باسره وعلى مختلف المراحل التاريخية من حياته.

والان دعنا عزيزي القارئ نتساءل من اين يستمد الادب الكوردي ارشاديته؟ او بالاحرى ما هي مصادر المثالية في الادب الكوردي الذي يؤثر ايما تأثير في قضية البناء الفكري للمجتمع الكوردي.

ان الادب الكوردي في الحقيقة يستمد مثاليته من مصادر اساسية وهي:

اولا: مصادر دينية والتي تعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية يضاف الى ذلك اصحاب الطرائق والمشايخ من الذين ذاع صيتهم في الاجتهادات الدينية وورعهم وتقواهم، وذلك عن طريق الشعراء من رجال الدين الكورد.

ثانيا: التقاليد والاعراف التي ذكرتها من قبل..

ثالثا: طبيعة الفكر العام في مرحلة معينة من مراحل حياة المجتمع الكوردي، حيث ان الايديولوجية العامة تتغير باختلاف المراحل التاريخية بالنسبة للمصدر الاول الذي يستمد منه ادبنا ارشاديته او مثاليته نستطيع ان نقول ان همزة الوصل بين المصدر الديني والمجتمع على صعيد الادب هم رجال الدين والذين سنتكلم عن دورهم في موضوع الالتزام في الادب الكوردي.

فلقد كان اغلب ادبائنا الى عهد قريب وما يزال قسم منهم من رجال الدين والسبب في ذلك هو:

اولا:

ان طبقة رجال الدين في المجتمع الكوردي كانوا يشكلون الطبقة المثقفة في المجتمع وهي بدورها اولت عنايتها للادب الكوردي باعتباره جزءاً من ثقافتهم او من متممات ثقافتهم. وذلك لندرة المدارس وضعف حركة التعليم والتثقيف وشأن مجتمعنا في ذلك شأن المجتمع العربي.

ثانيا:

ان من اول واجبات ر جل الدين في المجتمع الكوردي واي مجتمع كان هو ارشاد المرء وتوجيهه واسداء النصح وبث المثل الخيرة في المجتمع فواجبه واجب اصلاح لاشك في ذلك وكما قلنا ان ادبنا ادب مثالي في كثير من مناحيه عندئذ سيكون الادب جزءاً او اداة كثيرا يستفيد منها رجل الدين في مهنته التوجيهية او الارشادية.

عندما نصف الادب الكوردي بانه ادب ارشادي فليس المعني بذلك ان كل الادب الكوردي هو ادب ارشادي لحمته النصح وسداه الاصلاح والتوجيه، فكثيرا ما تجد خلافا بين الشعراء انفسهم في معالجة موضوع ما، فقد نجد من الشعراء الكورد من يتمسك بالمثل ويتطرق اليها وقد تكون مساعي الشاعر مساعي دينية بحتة او اجتماعية او حتى صحية، وسأعرض للقارئ الكريم نماذج من ذلك، فلا غرابة اذن ان يظهر فريق مناوئ يحاول ان يعترض على مثالية الادب المستمدة من احد المصادر المذكورة آنفاً، ان ظهور الصراع بين هذين الفريقين وتمخض هذا الصراع عن نتاجات أدبية متطاحنة في غاياتها مرده الثنائية الاجتماعية التي بات يعانيها المجتمع الكوردي بنتيجة قوى الشر الاجتماعية المتباينة، فكما ان القديم يشد باتجاه معين كذلك نجد الحديث المتطور يشد باتجاه معاكس واليك ايها القارئ الكريم نماذج شعرية تريك هذا التباين في الاتجاهات بين شاعرين يعيشان في مرحلة حضارية واحدة.

ودعنا نستشف التباين الحضاري القائم في مجتمعنا، فلو لاحظنا الشاعر الكوردي (زيوەر) في وصفه للخمرة نجده يقول:

انا لا اشرب الخمرة.. فينتابني الصداع[1]
واصاب بآلاف الامراض الخطيرة
ولم اجعل نفسي مهزلة للناس..
لا اتعاطى شرب الخمرة
فيصبح عمري قصيراً!!
ولم لا اكون منعماً في حياتي..؟

لقد كان هذا جزءاً من قصيدة (ملا عبدالله) زيوه ر حيث نجده ناقماً على الخمر ومن يشربه، وفي الحقيقة ان شرب الخمر شيء غير مقبول في المجتمع الكوردي فضلاً عن انه قد حرم دينياً ومع هذا نجد شاعراً كوردياً آخريتجه اتجاهاً مغايراً فهذا (فائق بێ كەس) الذي يذهب في قصيدته رداً على (زيوەر):

أنا أشرب الخمر
لكي لا ينتابني الحزن
ولكي اكون بعيداً عن هذه الحياة
الحياة الحقيرة...!!
دعني أشرب قليلاً لأغدو فاقد الشعور
"ان نعيمك في الرز والطعام"
"ودعني متضرراً بشرب الخمرة"
ويستمر الشاعر في قصيدته الى ان يختتمها بقوله:
ان كرسي الحانة

(١) القصيدة والرد عليها في ديوان "زيوەر"

التي اجلس عليها...
تشعرني بسعادة بالغة
فأغدو اكثر سعادة
مما لو كنت متربعاً... على عرش قيصر!!

أن الشاعر الكوردي اينما كان وحيثما ظهرت شاعريته نجده يحمل اتجاهاً فلسفياً معيناً في الحياة ومهما اختلفت هذه الاتجاهات في اجتهاداتها وسبلها ومسالكها الا انها تلتقي في غايات معينة منها الإنسان والوجود والمشكلة الاجتماعية.. الخ، وعليه كان الشاعر الكوردي فيلسوفاً، لأن غاية معينة تتراءى امامه وتعصف في مخيلته وهو يحاول بلوغها وافهامها لمجتمعه عن طريق أدبه، فإذا قلت ان الكوردي هو فيلسوف فأنا أطلق عليه هذه الكلمة بمفهومها الاجتماعي من حيث ان الفلسفة في اتجاهاتها العامة ما هي الا سبيل لحل مشكلات الانسان في الحياة والسعي بالمجتمع نحو الخير والسعادة، فهذا مثلاً الشاعر (مفتي بينجوين ملا عبدالله بن ملا كريم) نجده يحاول دائماً عرض المشكلات التي يعانيها المجتمع الكوردي ومن ثم يقترح حلولاً لها وكمثال لذلك سنعرض للقارئ الكريم احدى القصائد التي يحاول فيها الشاعر تصوير المشكلة التي تعاني منها المرأة في معظم المجتمعات المتأخرة والمتطورة حديثاً والتي لم تصل بعد الى مستوى الاعتراف بالمرأة كانسانة لها حق الاختيار مع من تريد ان تعيش معه كزوجة له، فكثيراً ما يفرض الزوج فرضاً واجباراً على زوجته دون ان تكون لها اية رغبة في العيش معه وعدم إطاعة هذه الأوامر المفروضة على الفتاة والانصياع لها (اعتبرت) رذيلة او ان الفتاة تعتبر فتاة غير صالحة، أو غير فاضلة، فحاول شعراء كثيرون وادباء ومفكرون من مختلف المجتمعات ان يعالجوا

هـذه المشـكلة الاجتماعيـة الخطـيرة ذات التبعيـات السـلبية في حيـاة الـزوجين والـتي تـنعكس آثارهـا مباشـرة علـى حيـاة الأطفـال الـذين سينجبون في مثل هذه العائلة التي تفتقد رباط الزوجية ومعـاني الحب وهكذا حاول كثير من ادبائنا الكورد معالجة مثل هـذه المشكلة وتوعيـة الآبـاء وافهـامهم بخطـأ تفكيرهـم وان عنـادهم واصـرارهم وعـدم افسـاح المجال للفتاة في ابداء رأيها في موضوع مصيرها شيء لا مبرر له ولا يخـدم شيئاً سوى تفـاقم المشكلات بالنسـبة لفتـاتهم ولمجتمعهم وأطفـالهم، وفي هذه القصيدة (لمفتي بنجوين) نلاحظ ان الشاعر قـد وضـعها في قسـمين القسم الأول من القصيدة حديث الفتاة مع ابيهـا والـتي تناشـده فيهـا ان يدعها تختار شريك حياتها، وقد اخترنا القسم الثاني وهـو رد الأب علـى ابنتـه صـور الشـاعر كيـف فاتحتـه ابنتـه في رغبتهـا ان تكـون حـرة في اختيار شريك حياتها:

أيتها الأبنة المتيقظة [1]
لا تنظري الى سيمائي ووجهي الذي حفرته السنين
فأنا مثلك عصري الأفكار
اريد ان اعيش لكي لا اجعلك محرومة في الحياة
لكي تصبحي مثل اخيك
ابنتي.. ان ما تقولينه شيء عذب
لأنه اسلوب الشرع والوجدان والدين
ان كل الانسانية تعتبر كلامك هذا دراً وجواهر
ستقررين مصيرك بمحض اختيارك
وستكونين حرة باختيارك هذا من كل قيد وطوق

(١) ديوان مفتي بنجوين.

ابنتي ان سعادتك تجعلني لا افكر بزعيم او بتاجر
لأني لا اريد ان ابيع شرفي
ولست عبداً للمال..
ولا اريد ان اطلق كرامتي
لا اريد ان اعيش سعيداً ثمناً لعذابك
دعي عنك كل الافكار فأنت حرة
حرة كالرجل
واجلسي من دون حزن وقري عيناً

ان مثال الإنسان الخير في المجتمع الكوردي واضح، فهنالك مقاييس وضعها المجتمع وهي بمثابة الحد الطبيعي للشخصية الناضجة، وكأن الرجل يجب ان تتوفر فيه صفات معينة وشروط خاصة لكي تطلق عليه كلمة (رجل) فلهذه الكلمة دلائل ومعان اجتماعية تتبلور هذه المعاني التي قيست ودونت بمقاييس ومعايير المجتمع الكوردي بكلمة واحدة وهي (جوامير) التي تقابل باللغة الإنكليزية كلمة (جنتلمن) وفي الحقيقة فقد اصبحت هذه الكلمة هي المقياس الاجتماعي الحدي في تحديد وتعريف شخصية ما المقصود بها الرجل المثالي وفي اعتقادي ان هذه الكلمة ما هي الا امتداد لمعنى الرجل الفارس فقديماً كانت الفروسية معروفة في المجتمع الكوردي كما كانت معروفة في اوربا في عهد الفروسية أو المجتمعات العربية لاسيما في العهد العباسي وكانت تعرف في عهد العباسيين بالفتوة وفي الحقيقة لست متأكداً في ان يكون لدينا في مرحلة تاريخية معينة نظام مقصود بالفروسية بقدر ما ان تكون الفروسية من متممات الحياة الاجتماعية وبصورة غير مقصودة عبر التاريخ الكوردي فنستطيع ان نلاحظ ان الأدب الكوردي غني

بوصف شخصيات[1] سواء واقعية ام من تخيلات الشاعر تتفق والمثل التي يجب ان يمتثل اليها الرجل الفارس، ومن هذه الصفات الواردة القوة والاصرار على الحق ونصرة المظلوم واجادة الرماية.. الخ

على هذا فمن الممكن ان نقول بان فلسفة المجتمع الكوردي على الاعم فلسفة مثالية، أي لها موازينها ومعاييرها لقياس شخصية الانسان في شتى المجالات والمواقف.

ولقد اجاد الشاعر الكوردي الفذ (دلدار) في تصوير الشخصية النموذجية التي يريدها المجتمع الكوردي في قصيدته (مندالي هيوا: طفل المستقبل) وفي مجموعة نصائح يقدمها الى الطفل... ويستطيع القارئ الكريم ان يتبين نوعية الشخصية التي يبتغي الشاعر ان يحصل عليها من هذا الطفل:

طفل المستقبل... يا عماد الافئدة[2]
ايها البرعم النامي في بستان الورود
كلما غاص نظري في عينيك:
وجدتك نزيهاً عن كل نقص وخطأ وعيب
ان سيماءك كصحو السماء الصافية
عندما تكون الشمس مشرقة باسمة
ان شعاع الأمل في ليل القلوب
يبدو جلياً على سماء وجهك
ولكيانك صورة عذبة وضاءة
هذه الابتسامة البريئة المرسومة على شفتيك

(١) الشخصية كمصطلح علمي لا بالمفهوم الدارج.
(٢)كتاب الشعر والادب الكوردي للاديب الراحل رفيق حلمي.

وجمال عينيك الناعستين الشهلاوين
دون شك انت اليوم في مقدمة السعداء
يا أمل المستقبل...
ان املي بك ايها الطفل الصغير
غداً ستصبح نموذجاً حياً للانسان
ان ما اهمس لك به دع صداه حياً في اذنيك
كن صدوقاً دوماً ولا تكذب
لا تدع وقتك يذعب سدى ادراج الرياح
عش في كفاح دائب ككفاح النحلة في الحياة
وكن متأهباً دوماً لخوض ميدان الحياة
واعلم جيداً ان الحياة الكريمة ليست بالشيء السهل البسيط
بل هي ثقيلة وصعبة
انها على نقيض من حياة الأمس
التي لم تكن تتعدى الأكل والنوم
يجب ان لا تعيش كالنساء
وفي يوم ما ستنضج وستفهم الحياة
ستجدها سلسلة من الجبال العالية
ذات مسالك وعرة صعبة المراس
مليئة بالمنحدرات والأحراش والاشجار
وتغص بالحيوانات الشرسة الضارية
والأفاعي والعقارب
إنه درب مليء بالفخاخ

لو امعنا النظر ملياً في هذه القصيدة لتكشفت لنا ابعاد نفسية اجتماعية واضحة تتستر في ابياتها لا بل نستطيع بعبارة نفسية علمية ان نقول ان معايير الشخصية المثالية جلية واضحة في القصيدة... ان الشاعر في الجزء الأول من القصيدة يضعنا وجهاً لوجه امام ظاهرة اكاد اقول عنها ظاهرة عالمية تتسم بها جميع شعوب العالم الا وهي اعتماد الحياة على الجيل الصاعد، ولهذا نجده (أي الشاعر) يعتبر الطفل عماداً ويسبغ على هذا العماد صفة وجدانية فيجعله (عماد الافئدة) وفي الجزء نفسه من هذه القصيدة نلاحظ ايمان الشاعر بنظرية فلسفية ونفسية في آن واحد وهي الروح الخيرة عند الطفل والنفسية الخيرة النقية عنده ايضا، ولقد حاول واختلف كثير من الفلاسفة عبر التاريخ في تحديد نفسية الطفل، هل ان الطفل يولد خيراً بطبيعته أو انه يولد شريراً بطبيعته، الا ان شاعرنا (دلدار) قد امن وكما يظهر بخيرية الطفل وبراءته وطهر نفسيته فهو ينزهه عن كل عيب ونقص وخطأ، وانا شخصياً اعتقد ان التنزيه عن الخطأ عند الشاعر او مفهومه لايعني به الخطأ بمفهومة الاعتيادي فمن المحتم ان يقوم الطفل بأخطاء عدة منها حركية ولفظية لقلة خبرته وممارسته ولعدم نضجه الفكري والعاطفي وكلما سار الطفل في نموه كلما اقترب من صفة الاتزان الحركي والعقلي فمن الحركات العشوائية الى الحركات المنتظمة المرتبطة بعمليات عقلية تفي باغراض معينة متعلقة بحياة الكائن الحي.

فيظهر من مفهوم الشاعر (دلدار) انه يعني بالخطأ (الأثم) ويقصد الشر لذا فهو يحاول ان يصور نقاء نفسية الطفل وبعدها عن (الخطيئة) وما اقرب فكرة هذا الشاعر من خلال قصيدته بالآراء التربوية الاجتماعية التي نادى بها الفيلسوف (جان جاك روسو).

أما في الجزء الثاني من القصيدة فنجد ان الشاعر ينقلب الى موضوع آخر وهو موضوع السعادة فيعتبر السعادة شيئاً متمثلاً بالطفولة والبراءة ولهذا فهو يعتبر الطفل في قصيدته في مقدمة السعداء... واعتقد ان هناك تماسكاً وثيقاً بين الجزء الأول والثاني من القصيدة فنقاء النفس هي التي جعلت من الطفل سعيداً، فالسعادة ترتبط ايما ارتباط بخيرية الفرد فهو سعيد وان كان الطفل لا يعي مفاهيم السعادة والشقاء كما نعيها نحن الكبار سواء كنا سعداء أم اشقياء.

وثمة علاقة بين هذا الرأي الذي يكمن في ابيات الشاعر (دلدار) ورائد الفلسفة اليونانية (سقراط) الذي ربط بين مفهوم الساعدة والفضيلة وجعل من الفضيلة أساساً للسعادة فإذا كانت الفضيلة في مفهوم (سقراط) هي المعرفة التي تزيل غبار الجهل وتظهر الحقائق الانسانية لتقوده الى دروب الفضيلة والسعادة فان الشاعر (دلدار) ينطلق من نفس النقطة أو القاعدة من حيث ان الفضيلة ابتعاد عن الشرور، وبراءة الطفل ايضاً ابعد ما تكون عن الشر ونقطة التباين والتي يمكن ان تكون نقطة التقاء ايضاً في الوقت نفسه، هي ان سقراط بدأ بالجاهل يطالب بتثقيفه وتعليمه ليكون فاضلاً بينما بدأ شاعرنا بالطفل البريء وهو يحاول تعليمه لتعريفه بنفسه وبالحياة، اما الجزء الثالث من هذه القصيدة فنجدها مجموعة نصائح في الحقيقة تعتبر نصائح اساسية لخلق الانسان النموذجي الأمثل في المجتمع فالأولى في الصدق في الحياة وقد جعلها الشاعر أولى نصائحه فهو يحذر هذا الطفل من الوقوع في مهاوي الكذب والغش، ويؤكد على فضيلة الصدق، والثانية يؤكد فيها

الشاعر على العمل المثمر الناجح وان لا تكون الحياة مجرد مضيعة للوقت وعداً للأيام والسنين دون نتاج أو عمل، والثالثة تأكيد على الثانية ويجعل من النحلة استشهاداً وقدوة للكفاح من اجل العيش والحياة في العمل المستمر الدائب دون ملل وكسل، والرابعة يرى من الحياة ميداناً على الانسان ان يكون دائم الحذر والاستعداد للنزول الى خضم هذا الميدان والتغلب على ما فيه من مصاعب ومنغصات، فالحياة في نظر الشاعر ليست بالسهلة البسيطة انما هي حرب مستمرة مع مصاعب الطبيعة من جهة ومصاعب الحياة الاجتماعية والتكيف لهما من جهة اخرى.

الصراع بين الخير والشر في الادب الكوردي

ان فلسفة الصراع بين الخير والشر فلسفة قديمة امتثل لها الشعب الكوردي وكانت من مكونات الحياة الفكرية في مراحل تاريخية كثيرة.

بل لقد كانت هي الفلسفة الرئيسة التي اعتنقها معظم الكورد وغيرهم من اقوام اخرى. وبعد ظهور الاسلام واعتناق الكورد للديانة الاسلامية وايمانهم بها اتضحت معالم الخير والشر اكثر من ذي قبل لاسيما ان القرآن الكريم اصبح دستور الحياة الاجتماعية ولقد انعكست تلك الفلسفة على الادب الكوردي قبل الاسلام كما ظهر الصراع والتمييز والمقارنة بين الخير والشر في ادب الكورد بعد الاسلام. في الحقيقة ان مسألة الخير أو مفهومة الخير اضيق من ان تتسع لما نريده من فلسفة الادب الكوردي فالخير كقيمة اقل من مفهومها الواقعي الخلقي اذ ليس الخير هو كل الاخلاق انما هو احدى القيم المكونة الداخلة في مركب الاخلاق. لذا فالادب الكوردي لا يسعى في فلسفته إلى حث المجتمع لعمل الخير فحسب بل هو تحفيز للاستجابة إلى قيم الجمال والمحبة والصدق.. الخ من هذه القيم التي تسعى إلى (الحقيقة) المطلقة التي لا تؤثر عليها مؤثرات خارجة عن جوهرها فلقد ميز الادب الكوردي بين الخير وبين الالزامية على الخير أو بين الصدق والالزامية على الصدق والتضحية والالزامية على التضحية، فهناك فارق بين عدم رغبة الانسان للسرقة

مع ان الفرصة سانحة للسرقة وبين عدم السرقة لعدم سنوح الفرصة اوتوفر المجال. ففي الحالتين لم تحدث السرقة والتي هي شر بطبيعة الحال الا انه في الحالة الاولى هي خير محض نابع من صدق الايمان بالخير وهي تحقيق للامانة الانسانية فهي اصالة حقيقية غير مزيفة وبهذا نستطيع ان نعرف الخير من زاوية الادب الكوردي بانه استجابة الانسان للانسانية أو لوحي ضميره ولقد عبر الشاعر الكوردي (علي الترموكي) عن ذلك في المقطعين الآتيين من قصيدة طويلة:

لو كانت الريح تحمل انفاس الموتى[1]
واطياف الشهداء
يرغب المرء ان يكون خيرا
ولكن الموتى قد نسونا..!!
فليست الحياة سوى منخل
تبقى فيه ثلاث حبات
الخير والرحمة والحب.
ان نمرود قد بنى ابراجا رفيعة
للوصول الى قدسية اللاهوت
فلما استيقظ إلى استحالة حلمه
لا حظ الكلمات الآتية
مسطورة باحرف من نار
على انقاض قصوره المتهدمة:
(للتقرب من الخالق)
(اصغ إلى وحي الضمير)

---

(١) **دراسة في الشعر الكوردي**: لوس بول ماركريت.

يلاحظ القارئ الكريم كيف ان هذا الشاعر ينتهي إلى منتهيات أو الى تقييمات كأنها قواعد أو عناوين لفلسفات، فقد صور الحياة منخلا لا تبقى فيه سوى حبات ثلاث هي الخير والرحمة والحب وسواها زائل لا يخلد وفي المقطع الثاني نجد الشاعر قد جعل من الاصغاء إلى وحي الضمير تقربا من الخالق، والمفهوم ان الاقتراب من ذات الخالق في المفهوم الفلسفي التصوفي هو تجرد الفكر عن عالم الحس واستحالته إلى معان منسجمة مع صفات الباري عز وجل شأنه، وهذه ملحمة اخرى من الملاحم المشهورة التي تصور لنا الصراع بين الخير والشر عند الانسان بعنوان (بائع السلال)[1]

(١) وبدأ يومه الثاني
يحمل السلال..
وفي الازقة ينادي عن بضاعته
فوقع نظر الاميرة عليه من بعيد

★ ★ ★

(٢) رأته الاميرة من بعيد
فسلب لبها بائع السلال
فازاحت ستار النافذة
لتلمحه وتناديه..

★ ★ ★

(٣) نادت الاميرة وصيفتها
اسرعي هيا اسرعي

---

(١) كتاب "زەنبيل فروش" جمع وطبع الاستاذ كيوموكرياني

وهاتي ببائع السلال
هاته بسلاله..

★ ★ ★

(٤) مضت الوصيفة مسرعة
ووصلت إلى الناسك الفقير
فاتجهت به صوب القصر
وارتدت الاميرة زينتها

★ ★ ★

(٥) بادرته الاميرة تقول
ايها الناسك الوسيم
تفضل وتقدم إلى الامام
سأزن لك سلتك الكبيرة بالذهب
وقل ما تشاء عن السلة الصغيرة

★ ★ ★

(٦) تقدم وانصت إلى ما اقول
سأضع جمالي تحت يدك
سأجعل منك انسانا عظيما
لتحيا في دار سعيدة..

★ ★ ★

(٧) تعال ايها الوسيم الفقير
واجلس على سرير الامير
واعبث بخصلاتي.. خصلات الحرير
سأجعلك انسانا سعيدا..

★ ★ ★

(٨) ايتها الاميرة..
لا اريد من دنياي شيئا
ولن تغريني الوعود
انا بعيد بعيد..
عن كذا عبارات حقيرة

★ ★ ★

(٩) ايها المعدم الفقير
تعال واستلقي على السرير
ودع عنك يوم القيامة
ستخسر هذا اليوم السعيد..

★ ★ ★

يحاول الشاعر في هذه القصيدة الروائية ان ينصر القوى الخيرة على القوى الشريرة، أي انتصار المثل العليا عند الانسان على دوافعه الغريزية فالاطراف الرئيسة في القصة اميرة بارعة الحسن وناسك فقير يعيل عائلته ببيع السلال في الازقة متجولا ببضاعته بعد ان كان من سلالة حاكمة غنية ففضل حياة الزهد والتقشف واصبح ناسكا لا يريد من دنياه سوى الفضيلة الخير.

ان هذه القصة الشعرية هي اقرب ما تكون إلى الاسطورة فقد نسجها خيال الشاعر وقد تكون قاعدتها الاولى واقعية ليعطينا صورة في منتهى المثالية ودليلنا على ذلك انه جعل الشخصيتين البارزتين في هذه القصة شخصيتين متنافرتين ومتباينتين فالشخصية الاولى ناسك فقير في

منتهى الحاجة المادية والفاقة ودليلنا على ذلك تجوله في الازقة ليبيع السلال والشخصية الثانية اميرة لها نفوذ وفي منتهى الغنى والجمال وقد كان في وسع الشاعران يضع بدلا من الاميرة فتاة اعتيادية حسناء ومن عامة الناس تحاول اغراء هذا الرجل، الا ان شاعرنا اراد ان يجسم الناحية المثالية في الموضوع فهو يظهر تحدي هذا الانسان الفقير وتمرده على جمال ونفوذ الاميرة بسبب ما يحمله من ايمان بالله اولا وبتقاليده ومثله العليا ثانيا ان المقاطع الاربعة الاولى لا تعدو ان تكون وقوع الاميرة في حب هذا الفقير لاول وهلة وطلبها في حضوره والشيء الذي يهمنا من هذه القصيدة المقاطع الاخيرة (٥- ٩) حيث نجد ان الاميرة قد استعملت سلاحا ذا حدين حسب تصوير الشاعر، وغاية هذا السلاح استمالة هذا الرجل الفقير فالحد الاول كان ماديا بحتا وهذا يجعلنا نقف على ناحية مهمة في نفسية الشاعر اولا وغلبة الناس ثانيا الا وهي ان المادة اعم واعظم من مغريات اخرى ولهذا فقد جعل الشاعر ان تبدأ الاميرة باغراء الفقير (ماديا) فقد وعدته بان تزن له سلاله بالذهب فالمادة والحصول على المال وتملك الشيء غاية كل انسان في هذا الوجود منذ الازل وحتى يومنا هذا فكيف اذن بالمعدم الفقير الذي يتجول طوال النهار ليسد رمق اطفاله بالنزر القليل فالشاعر في الحقيقة يعطي القارئ في هذا المقطع تصويرا غير مباشر لحالة انسان يمنح مالا وفيرا وذهبا غزيرا لا لشيء الا لمبادلة الاميرة الحسناء مشاعرها وعواطفها!! ومع هذا فقد كان الناسك اقوى من ان تغريه هذه المغريات. اما الحد

الثاني من سلاح الاميرة فقد كان سلاحا عاطفيا، ان لم اقل عنه انه سلاح غريزي (اذ جاز التعبير) ارادت به اثارة عاطفة هذا الناسك لايقاعه في شباكها فهي التي تريد وضع جمالها تحت تصرفه وتحاول حثه على ان يكون متجاوبا معها في احاسيسها، لو اردنا ان نتحدث بشيء من الواقعية لقلنا ان قلة من الناس من ينجو من مغريات كهذه ومع هذا فقد استطاع هذا الفقير حسب تصوير الشاعر وهدفه من الرواية ان يصمد امام هذه المغريات والمعطيات بعزيمة ثابتة وايمان راسخ لا بل فقد وصف هذا الفقير عبارات الاميرة بالحقارة والخسة.

اصل الوجود وغاية الانسان وتساؤلاته في الادب الكوردي

لقد حاول الكثير من المفكرين الكورد ذوي العلاقة بالميدان الفلسفي والنواحي الفكرية البحتة ان يعالجوا مشكلة اصل الوجود وغاية الانسان في الحياة وانتهاء الحياة شأنهم في ذلك شأن كثير من فلاسفة العالم على مختلف المراحل التاريخية فبحثوا في بدء الكون وصلة الانسان به ودرسوا الفلسفات الشرقية القديمة والفلسفات الاغريقية، والشيء الوحيد الذي خلد لنا هذه الفلسفات وابقى لنا هذه المحاولات بالنسبة للمفكرين الكورد هوالادب الكوردي.

فقد عنى الكثير من ادباء الكورد بهذه الناحية، واليك ايها القارئ الكريم احد الشعراء (قانع) وهو يثبت وجود صانع الكون وخلود الخالق مستعملا لذلك براهين منطقية وبأسلوب جدلي، كما يحاول وضع حد لمتاعب المفكرين بهذا الصدد فهو الذي يقول في صدر ديوانه:

لو اردت ان اكتب عن اصل الوجود[1]
فقد كتب ذلك الف الف مرة قبلي.
فلا يسعني الا ان اقول:
ان الكون لا بد من مدبر له.

---

(١) ديوان قانع

لنفرض ان الحيوان والنبات
اوجدتهم الارض
والارض قبل ملايين السنين
انفصلت عن الشمس
ولكن كيف وجدت الشمس؟؟
اقسم بالله اننا في حاجة لله..
فلا يمكن ان تكون حياة بدونه.
وفي مختلف الفلسفات وعلوم الحكمة
والعلوم العقلية والنقلية
كتبت اشياء كثيرة
ومع ذلك فان هذه العلوم
تقف في حيرة من امر الوجود وسره

ويستطيع القارئ الكريم ان يقف على تساؤلات الشاعر المنطقية في قصيدته من ناحية واستحالة كشف اسرار الوجود وخلقه بشتى العلوم المختلفة من ناحية اخرى فهو يجعل من الايمان بالله ضرورة تقتضيها حياة الانسان في هذا الكون وهو يحاول ان يضع حدا لتساؤلات الانسان التي لا طائل من ورائها ولا نتيجة.

في الحقيقة لقد كانت وماتزال غوامض الطبيعة ومبهمات الكون من اولى الدوافع التي دفعت بالمفكرين والفلاسفة عبر التاريخ لان يحلقوا في عالم الفكر والجدل محاولة منهم لاماطة اللثام عن اسرار الكون، ومع هذا نستطيع ان نقول ليس هناك نظرية أو فكرة معينة استطاعت ان تضع حدا لتساؤلات الانسان وتقنعه اقناعا شافيا. ان غموض الحياة وعدم وضوحها وبقاء الحاجات الانسانية غير مشبعة هي التي عنونت

لنـــا مصـــطلحات قـــد تبـــدو جديـــدة في الفلســـفات الحديثـــة (كالعبث والضياع).. الخ وقد تبدو هذه المصطلحات وكأنها مستوردة من فلسفات اقوام وحضارات اخرى ومع اختلاف الاسلوب أو اختلاف المصطلحات فان الانسانية واحدة من حيث معاناتها للنواحي المشتركة وقد يهتز البعض اعجابا من دقة تصوير وتوقعات بعض الفلاسفة لاسيما فلاسفة الغرب واميركا في هذا العصر وعمق افكارهم وهناك من يتدين تدينا بفلسفاتهم، وهنا اود ان اقول اننا لو رجعنا الى تراثنا وادبنا في الشرق لوجدنا ادباءنا وشعراءنا قد عالجوا قضايا ومسائل لا تقل عن مستوى فلاسفة الغرب وامريكا سواء كان ذلك في الادب الفارسي أم الكوردي، وارجو ان لايخيل للقارئ الكريم اننا نريد ان ننتقص من قيمة هؤلاء المفكرين، كلا، ولكننا نعتقد بضرورة دراسة فلسفاتنا ومسائلنا وواقعنا قبل ان نستورد افكار غيرنا.

فدعنا عزيزي القارئ نفكر في هذه القصيدة التي تصور ضياع الانسان للشاعر الكوردي (حاجي قادر كوي) لنقف على حالها من عمق في التصوير الواقعي:

سنموت نحن ايضا، ولكن ماذا سنصبح بعد الموت؟[1]
ان توالي النهار والليل يهين ذلك المستقبل
غدا ستشهر البضائع في المدن
هذا يبيع وذاك يشتري
وهذا قد فقد والده
واخذ يحز صدره..

---

(١) **دراسة في الشعر الكوردي:** لوسي بول ماركريت.

وذاك فرح بلقاء حبيبته الحسناء

تلك التي يقدم لها بقات الورود

آه لا شك في ان الدنيا قد انشأت طاحونة عظيمة

لتطحننا

فتدور وتدور...

تذهب جماعة وتأتي اخرى

ولا يعرف احد متى تدرك هذه الفوضى نهايتها

كل منا يموت دون ان يدرك شيئا

فعليه دع عنك العذاب

ان القدر قد وضع بعنقينا قلادة بلقاء

تسمى الليل والنهار

وشمس حياتنا ستغرب عن قريب

فلنكن ذوي بصيرة غير راعين في شيء

على ابواب هذا الليل

وهذا شاعر كوردي اخر يجسد تساؤلاته في مقطع من قصيدة طويلة:

بعضا يدلفون إلى الحياة[1]

ويعيشونها حلوة سعيدة

وبعضا يدلفون إلى الحياة... غرباء

ويغادرونها... غرباء

---

(١) من شعر المؤلف.

رباه... لماذا؟؟

فمن هذا؟... ومن ذاك؟؟

وماذا بيدك ايها الانسان؟

انها ارادة الله ومشيئته

نلاحظ في هذه الأبيات والتي هي في الحقيقة مقطع من قصيدة طويلة استنزفت مائة واحداً وعشرين بيتا، نلاحظ انها تعالج مشكلة أزلية يعاني منها الانسان وتطول تساؤلاته عنها، انها مشكلة السعادة والشقاء في هذه الحياة، فالشاعر في هذه الأبيات يطرح المشكلة بشكل صريح فيذهب الى ان هناك صنفين من البشر بصورة عامة الصنف الاول منهم كتبت لهم السعادة لم يولدوا في هذه الحياة الا ليكونوا سعداء ويعيشون الحياة بتنعم ورغد، وصنف آخر خلقوا تعساء وعاشوا هذ الحياة يلاقون الصعاب تزدحم أمامهم المشكلات وتعترض دروبهم أينما حلوا وحيثما ذهبوا وبعد كل هذه المآسي والارهاقات التي يعانيها هذا الصنف من الناس نجدهم عندما توافيهم منيتهم يغادرون الحياة بهدوء وبدون ان يثيروا من حولهم ضجة لا بل دون علم أحد وكأنهم غرباء في الحياة.

فلماذا هذا التقسيم وهذا الفارق بين الفريقين؟؟ هذه التساؤلات يضعها الشاعر ليجيب عنها انطلاقا من مثالية الأدب الكوردي ومن القيم التي يخضع لها انها سنة الحياة ومشيئة المولى القدير وارادته وحكمته، فماذا بوسع الانسان الذي لا حول له ولا قوة ان يفعل امام عظمة الخالق وجبروته وقدرته.

ومن هنا ايضا نستطيع ان نجد بوضوح محاولة الشاعر في حل هذه المشكلة حلاً أساسه الايمان والعقيدة والتسليم بعد جدل استقرائي فلسفي كان الغرض منه معالجة مشكلة تعترض كل انسان فهي كما اسلفت موضوع لتساؤلات الكثير من الناس في مختلف المجتمعات ومختلف الحقب الزمنية لقد حاول كثير من الفلاسفة لا سيما في مطلع القرن الثامن عشر.

التزام مبدأ التناقض ومنهم الفيلسوف "هيكل" وفي الحقيقة ان مبدأ التناقض والتعرف على الشيء بنقيضه هو ليس بالشيء الطارئ الجديد بالنسبة لحياة الشعب الكوردي فلو لاحظنا الشاعر الفذ "احمد الخاني" الذي جاء ذكره قبل الآن حاول ان يتكلم عن هذه الفكرة ويحللها تحليلا فلسفيا في القرن السادس عشر(م) وبهذا يعتبر هذا الشاعر الكوردي فيلسوفا سابقا لكثير من الفلاسفة في اوربا ذوي الصيت والشهرة العالمية.

وهنا أضع القارئ أمام نموذج لهذه الفكرة التي تعتبر جزءاً من النتاج الأدبي لهذا الشاعر:-

الكون كله منذ فجر الحياة
مسرح للصور....
للصور المتضادة المتناقضة
فهذا الليل والنهار والنور والظلام
وهذه الشمس المتوهجة
والظلال الوارفة....

هذا الهجر والوصال

والمآتم والأعراس

هذه المآسي والأفراح..... والبؤس والنعيم

هذه الورود الناعمة بين الأشواك الدامية....

كل ذلك نماذج لمشهد هذا الكون المتناقض

أبدعه الله ليوجد في كل من الخير والشر معناه

وليتبين كل منهما بالآخر

ويتميز كل عنصر بنقيضه

الالتزام في الأدب الكوردي

طبيعي ان المجتمع الكوردي شأنه شأن كثير من المجتمعات الاخرى التي لم تصل بعد الى درجة من الاستقرار الاجتماعي على أساس متكافئ نسبيا فهو بذلك شبيه بالمجتمعات العربية ومجتمعات الشرق الأوسط من غير العرب ايضا، وبهذا فليس غريبا ان يكون هناك شيء من التفاوت الطبقي الاجتماعي في المجتمع الكوردي، او بعبارة اخرى تخدم الموضوع الذي نحن بصدده بصورة أجدى، ليس غريبا ان تكون هناك تكتلات في المجتمع الكوردي على صعيد أدبي تخلفت في استذواقها للأدب كماً ونوعاً وبهذا يكون لكل فئة من فئات المجتمع النمط والطابع الأدبي الخاص الذي تستذوقه أكثر من غيره.

وقد يكون دواعي هذا التكتل الأدبي الاجتماعي أحد العوامل الآتية:-

١- تفاوت اجتماعي في التذوق الأدبي على أساس التفاوت المادي بين أفراد المجتمع الكوردي.

٢- تفاوت اجتماعي في التذوق الأدبي على أساس النزوع الى الجديد في الحياة والتمسك بالقديم.

٣- تفاوت اجتماعي في التذوق على أساس التفاوت في شدة النزعة الدينية بين أفراد المجتمع الكوردي حيث ان الدين له دور قوي في أدبنا الكوردي بعد الاسلام.

٤- تفاوت اجتماعي في التذوق الأدبي على أساس انقسام المجتمع الى مجتمع ريفي وشبه متحضر ومتحضر.

٥- تفاوت اجتماعي في التذوق الأدبي على أساس اختلاف المذاهب الأدبية واتجاهاتها.

ان كلا من الفقرات الخمس المذكورة تعنون لنا فريقا في المجتمع الكوردي يختلف في استذواقه الأدبي عن الفريق الآخر وبهذا نستطيع ان نقول دون جزم وتعميم ان هناك شبه اختصاص نسبي عند شعرائه ولنتناول الآن هذه الفقرات فرادى لنمعن النظر فيها وفي انصارها ما دامت غايتنا توضيح الصلة بين المجتمع لكوردي وأدبه.

اولا: التفاوت المادي (الاقتصادي) بين أفراد المجتمع الكوردي.

لقد عاش الشعب الكوردي منذ القديم وهو يعاني ما تعانيه معظم الشعوب لا سيما شقيقه الشعب العربي من عدم وجود تكافؤ اقتصادي ولو بصورة نسبية بين أفراده. وبهذا كنتيجة حتمية ستظهر أنماط اجتماعية مختلفة في المجتمع الكوردي وكثيرا ما يعتبر الغنى قوة في المجتمع سواء كان ذلك بصورة شعورية أم غير شعورية والفاقة والفقر ضعفا، وعلى هذا الاساس سيبدي الغني انماطا سلوكية مغايرة لما يبديه الفقير في المجتمع وسيجد الغني نفسه قادرا بنتيجة امتلاكه للمادة اما الفقير فسيجد نفسه مسلوب الإرادة لا عزم له امام جبروت الغني (الاغا) وبهذا فانه أي الفقير سيبدي محاولات تنفيسية للتخفيف من وطأة الضغط الجاثم عليه في الحياة، ضغط الاستغلال والعبودية والحاجة دوماً، سواء كان ذلك بابدائه نتاجات أدبية أم بتعشقه للأدب الذي

يضمد جراحاته في الحياة ونتيجة لذلك ظهر نوع من الأدب الطبقي في المجتمع الكوردي تتمثل فيه أماني الفقير وتنصب فيه خيالات الشاعر الذي يحاول ان يعطي صورة لحياتهم سواء كانت واقعية أم قريبة من الواقعية فغايته تصوير حياة هؤلاء الذين ارهقتهم الحياة بمتطلباتها وزاملهم العوز واحتضنتهم الفاقة، ومن ضمن هذا النوع من الأدب الطبقي نتاجات أدبية لا تقف عند حد الوصفية الجامدة بل تحاول اعطاء صورة ناطقة عن نوعية العلاقة بين الغني والفقير وما ترافق هذه العلاقات الاجتماعية التي أساسها التفاوت الاقتصادي من تبعات اجتماعية وقيم ومعايير فرضتها نوعية الحياة وقد يكون الانصياع إلى هذه القيم المصنوعة في أدوار معينة شيئا واجبا ومن ينصعْ لها فهو خارج عن الحياة الاجتماعية أو الاطار الاجتماعي وفي ادوار اخرى يكون العكس هو الصحيح فان كسر هذه القيم والتصدي لها وعدم الاعتراف بها كقيم تعتبر من مثاليات الشعب لا سيما بعد ان وصل المجتمع إلى مستوى الوعي بمشكلاته ووجوب حلها وعدم الرضوخ للمتناقضات الاجتماعية.

ان موضوع تبدل القيم وتحولها إلى قيم مغايرة ظاهرة مرت وتمر على معظم المجتمعات باستثناء المجتمعات المغلقة تماما والتي لا تزال مجتمعات بدائية تماما، فالرضوخ للغني والانصياع له واطاعة وتنفيذ أوامره وتحقيق مصالحه كانت اشياء طبيعية قد لا يعجب منها معظم الناس ولكن روح العصر وحركة التطور التي انعكست على التطور الاجتماعي جعلت الفرد على وعي من أمره فقد كان عليه السمع والطاعة ومازالت هذه القيمة فأصبحت القيمة هي مطالبته للغني بحقوقه في الحياة بما يناسب جهوده المبذولة لا سيما الفلاح. فالملاحظ

ان الشاعر الكوردي المدافع عن الفقير في الحياة ينتج في تصوير خيالاته وصياغتها صيغة أدبية، فهو اما أن يظهر لنا انتصار الفقر في موضوعه الأدبي وانهزام الغني أي اقران مفهوم العدالة بمفاهيم الدفاع عن الفقير لأنه يكتب لجمهوره الخاص أو بالاحرى لفريقه الذي يناصره ويناصر أدبه، أو انه يحاول اعطاء صورة لوحشية الانسان المستغل وجشعه في اطار عاطفي يشد به الرأي العام لنصرة الفقير فهو في النهج الثاني اذ ينصر الغني ويحطم الفقير لا حبا بالغني انما الغاية هي الشد الوجداني وتخسيس الاستغلال في المجتمع والقصيدة الآتية من شعر الشاعر الكوردي (سلام) وهي على لسان فقير بائس يصف بها حياته والمآسي التي يعيشها وكيف ان ظروف الحياة القاسية هي التي تقود الانسان إلى الجريمة والسرقة.

زفرات فلاح[1]

معدم فقير سيئ الحظ
جوعان عائش في البراري
سبع سنين كاملة كنت في خدمة (الاغا)
أحرث له الارض والسفوح والجبال
وثمن أتعابي شتائم وتذمر وسخط
وملابس لا تزيد على كسوة مهلهلة
اما حذائي فمصنوع من الثلج!!
وسلاحي خشبة مسنتة اصد بها الحيوانات
فلاح في الشتاء وحارس تبغ في الصيف

(١) ديوان الشاعر المرحوم سلام.

وحتى في الأيام الممطرة
احتطب (للاغا)
وارافقه حيثما ذهب وهو مرتد جلبابه الموشى
ان بعض آثار الجدري على وجهي
ورغم قلة هذه الآثار... فقد جعلوني
معرفا بها.....القبيح!!
فسميت بالرجل المجدر (القبيح)
واضطرتني قساوة الحياة للالتحاق بخدمة (الشيخ)
متوسلا إليه مقبلا قدميه وكتفيه
لكي اصبح له خادما ومريداً
وتركت شعري يسترسل
بدلاً من تهذيبه وتصفيفه
كم من رجال أبرياء قتلتهم لأجله
وكم أضرمت النار في البيادر
فأصبحت رجلا منكوداً وغداً
أقطع الطرق على الناس نهاراً
واسهر في حراسة الشيخ ليلاً
وأعادوني معدما من جديد بدلا من مكافأتي
وسلبت مني دوالي الكروم القليلة التي كنت أمتلكها
فحرمت حتى من عنقود واحد منها
وقالوا لا تقترب من الدف والطبل
لأن قرع الطبول اكثر وقعا من بعيد
ان سهل شهرزور الفسيح قد اغتصب واقتسم

ولم يبق موطئ قدم للفقراء البائسين
كنت أشبع مرة واجوع مائة مرة
محروما من ثمار أتعابي وجهودي
ان آهاتي وزفراتي تنطق الصخر الأصم
ورغم هذه الآهات لن أنهزم
حتى أتحرر واستأصل جذور الاقطاع من اصولها

نعم، ان ظروف الحياة وقساوتها هي التي جعلت هذا الفلاح يسلك الطريق التي كان الفلاح نفسه يعرف انها ليست طريق الخير فهو الذي يعترف بأنه غداً وغداً منكود يلاحظ في هذه القصيدة التي هي عرض لحياة واحد من البؤساء انها سلسلة من احتدامات الانسان بالظروف التي لم يخلق من اجلها الانسان، ظروف استغلال الاقطاع للفقراء والتحكم بهم بما يناسب مصلحة (الآغا) والشيخ. وينتهي الشاعر (سلام) إلى نتيجة وهي تحطيم الاقطاع والروح الاستغلالية في المجتمع، وقد قلنا في وصفنا للأدب الكوردي في فصل سابق انه أدب هادف ينحو إلى غاية معينة. لقد قلنا ان التفاوت الاقتصادي بين افراد المجتمع يؤدي إلى تبعيات اجتماعية في العلاقات بين الافراد قد تنعكس هذه التبعيات على الحقوق وعلى الاسلوب في التحدث وعلى الزواج فما يحق للغني قد لا يحق للفقير واسلوب الحديث مع الغني هو غير اسلوب الحديث مع الفقير وقد يستطيع الغني الزواج ممن يريد اما الفقير فلا. النموذج الآتي يرينا طبيعة العلاقات بين الفقير والغني من خلال اسلوب الكلام والنموذج هذا يعتبر اسطورة فلكلورية كوردية تغلبت فيها عاطفة الحب والانسان على التناقض المركزي والمادي. وهي من القصص الحوارية التي ظهرت في مناطق بهدينان ويدور الحوار بين

اثنين الاول هو (حەسو السليفى) وهو راع للأغنام والثاني هي (خەجو خانم) ابنة الباشا الفتاة الرائعة الجمال وهي على رأس قافلة مسافرة:

الراعي:

"اسمحي لي أيتها الفتاة الرائعة الجمال"[1]

"كي تسير اغنامي وتعبر الجسر"

الفتاة:

"كلا لن اسمح لك بذلك"

"يجب ان تعبر قافلتي أولا"

الراعي:

"أيتها الحسناء الجميلة انا (حەسو السليفى)"

"الشاب الجريء، وادير اثني عشر قطيعا من الغنم"

"وتحت إمرتي أربعة وعشرون راعيا من رعاة الغنم"

الفتاة:

باستهزاء:

"يا حەسو انك شاب قذر"

"وعلى وجهك طبقة من السواد"

الراعي:

"كلا يا غادتي انني لست قذرا"

"بل انا بعكس ما تقولين"

"اني شمعة منيرة، متلألئة الأنوار"

"أضيء دار ابيك الباشا واجللها"

---

(١)كتاب فولكلور كرمانجي جمع وترجمة الاستاذ محمد توفيق وردي.

"واذا ما اردتِ اكثر من ذلك"
"فسوف آخذك من زندكِ على جسر (باتمان)
"وافر بك ومن ثم سأطبع قبلة على عينيك النرجسيتين"
"امام الملأ وبالرغم منك عنوة"
الفتاة:
"أيها الفتى الوقح يا (حەسو) ألا تعرف"
بأنك لست إلا راعيا بسيطا ومعدوما؟؟"
"وفي رجليك حذاء من جلد الثور!"
"وعلى ظهرك زوج من همبان[1] "
"انك لا تليق قطعا بمعاشرة الامراء والحكام"

وهكذا تتسلسل هذه القصة الحوارية و (حەسو) لا يتنازل عن انفته واعتزازه بمهنته واعتداده إلى ان تهيم ابنة الباشا بهذه الخصال التي هي من شيم الرجولة وهكذا تزوجت هذه الفتاة من هذا الشاب الذي أحبته رغم اختلاف المستويات. واعتقد من السهولة على القارئ الكريم ان يستشف الاسلوب الكلامي الذي كانت تتوجه به الفتاة إلى (حەسو) من خلال قراءة القصيدة.

ثانيا: النزوع إلى الجديد والتمسك بالقديم:

لقد واكبت الأدب الكوردي نزعة إلى التجديد سواء من حيث المضمون الأدبي أم شكله، وطبيعي ان هذا التجديد الأدبي لم يحدث في عشية

(١) **همبان**: جلد الماعز يوضع الخبز والمأكولات فيه وخاصة عند الرعاة الكورد.

وضحاها، انما مر ويمر بأدوار تفرضها طبيعة التطور الاجتماعي ومداه في المجتمع الكوردي ولهذا فان هناك تداخلاً بين الانماط القديمة والانماط الحديثة للأدب.

ففي الوقت الذي نجد فيه ظهور الشعراء المجددين ومستذوقيه وانصاره نجد هناك استمرارية على استذواق القديم.

في الحقيقة بقاء ثنائية الاستذواق الأدبي بالنسبة للقديم والحديث شيء له قيمته في اعتقادي وذلك من ناحيتين:

١- ان نزعة التجديد الأدبي معناها التجديد الفكري والخروج من الركود والجمود.

٢- ان الإبقاء على القديم معناه الابقاء على نمط فكر أصبح نادرا في يومنا هذا أو الاقل من النادر ان نجد نتاجات أدبية جديدة تتضمن الفكرة القديمة مع ضرورتها، أو ان الابقاء عليه معناه الابقاء على تراث فكري له قيمته.

وليس المقصود من الجديد في الأدب الكوردي ان يحل الشعر الحر مكان الشعر المعهود، بل المقصود هو المحتوى الفكري الذي ظهر ليفي بحاجات قائمة فكان مناسبا لظروف الحياة الحالية.

ثالثا: النزعة الدينية وعلاقتها بالالتزام الأدبي:-

لقد كان للاسلام دور اساسي في التأثير على الكيان الاجتماعي الكوردي وفي مختلف نشاطاته وجوانب حياته. فليس غريبا اذن ان يكون الاسلام قد تغلغل في الأدب الكوردي وظهر بهذا أدب مميز بعد الاسلام.

طبيعي ان هناك قوتين تسيران الفرد في انتقاء واختيار الانماط السلوكية أو بعبارة اخرى في تحديد مسيرة الانسان في الحياة وهاتان القوتان هما العاطفة والمنطق. فالانسان خاضع لهما لا مناص وان احداهما تختلف عن الاخرى في شدة تأثيرها وأهميتها على المرء. والأدب واي أدب كان يعتمد بصورة مباشرة على العاطفة فهو احساس وشعور ووجدان، ولكنه مع هذا لا يمكن له ان ينفك عن المنطق. فالمنطق سبيل تتسلسل فيه الأفكار والمعاني باسلوب معقول ومفهوم، وعليه فان الأدب مزيج من العاطفة والعقل ولكن غالبا تكون العاطفة هي العنصر الواضح في النتاج الأدبي. أما وجود العاطفة في النتاج، ومدى وجودها فهو الذي يجدد الاتجاه الادبي. ففي الوقت الذي نجد فيه قصيدة دينية في الادب الكوردي تكتنفها عواطف جياشة نجد ان المنطق عمودها الفقري الذي يحفظ في الحقيقة للقصيدة بقاءها وخلودها، فهي ليست وصفية استعراضية فحسب بل جدلية قائمة على الاستدلالات المنطقية التي توصل القارئ في النهاية الى نتجية او غاية واضحة المعالم والدين كعاطفة قوامها التقديس فقد ادت هذه العاطفة دورا في ظهور نوع من الالتزام الديني في الادب. اي ظهور نوع مميز من النتاجات الادبية التي تعالج بين طياتها مسائل دينية والهية.

لقد استحوذ هذا النوع من الادب على معظم طلاب العلوم الدينية في مختلف الجوامع الكوردية التي يتلقى فيها الطلاب اصول الفقه والشرع والتفسير والنحو والصرف وتستمر دراستهم سنين عديدة، وبهذا نجد ان الادب بصورة عامة والديني الملتزم بصورة خاصة قد اقتصر في مناطق بهدينان على رجال الدين لا بل قد اصبح الى حد بعيد من

متممات دراستهم او ثقافتهم العامة.بينما في مناطق السوران فضلا عن الادباء من رجال الدين فقد ظهر في الحقبة الاخيرة ممن عنوا بالادب الكوردي من غير رجال الدين وقدموا نتاجات ادبية جيدة، وانا شخصيا اعزو هذا التفاوت في تقديم النتاجات الادبية بين المنطقتين بهدينان وسوران واقتصار الادب عل رجال الدين في بهدينان الى ان الكورد في منطقة السوران استعملوا اللغة الكوردية قراءة وكتابة فازدهر الادب بينما سادت الامية منطقة بهدينان فشحت النتاجات الادبية، واقتصرت على رجال الدين الذين يجيدون القراءة والكتابة بطبيعة اختصاصهم، قد لااكون مبالغا اذا ما قلت ان المجتمع الكوردي كما يتراءى لي من خلال ادبه مجتمع تؤدي العاطفة فيه دورا كبيرا ولو ابتعدنا قليلا عن مجالات الادب الى واقع الحياة وخضمها الاجتماعي لوجدنا المجتمع الكوردي مجتمعا متمسكا بالدين الاسلامي لو قورن بالمجتمعات الاخرى هذا مما يجعلنا نستدل على ان العاطفة بمعناها الواسع والعاطفة الدينية بمعناها الخاص متغلغلة ايما تغلغل في نفوس الكورد فلا يشترط في فرد ما ان يكون قد تفهم الدين الاسلامي وابعاده واتجاهاته كمبدأ سام في الحياة تفهما عقليا لاسيما في المناطق البعيدة عن مصادر التعلم والثقافة الدينية، ولكنه يؤمن به بحيث اصبح السلام عقيدته التي ملكت عليه عقله ووجدانه في ان واحد. ولو اردنا تحليل العاطفة الدينية لوجدنا قوامها التقديس وهو الذي يعتبر في مفهوم علم النفس انفعالا للعاطفة الدينية، ولو تحرينا عن الجذور النفسية للتقديس وكوامنه الاصيلة لرأيناها تتخذ لنفسها اتجاهين اساسيين التقيا في ظاهرة التقديس عند الشاعر الكوردي من هذا النوع. فالاتجاه الاول هو حب هذه الذات العلوية المتمثلة في الباري عز وجل ومحاولة الاقتراب

روحيا منه الى الدرجة التي يذوب فيها الشاعر بعالم المعاني ويبتعد كل البعد عن كل ما هو مادي ومدرك حسيا في الحياة، واما الاتجاه الثاني فهو الرهبة والتعظيم والخشوع لهذه القوة الجبارة المسيرة لشؤون الخلق. فاذا ما امتزج الحب بالرهبة نشأ عن ذلك عنصر التقديس الذي هو عتبة فلسفة التصوف في الحياة تلك الفلسفة التي تقتطع لنفسها مساحة كبيرة من ادبنا الكوردي والتي سنتناولها في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

رابعا: انقسام المجتمع الى ريفي وشبه متحضر ومتحضر:

طبيعي ان يكون هناك تباين واختلاف في طبيعة الحياة بين الانسان الريفي والانسان العائش في المدينة ويبدو هذا التباين بصورة اوضح في حضارتها المادية في الملبس واسلوب العيش والانتاج.. الخ من مقومات الحضارة المادية لدى الانسان ولكن هذا الاختلاف لايقف عند هذا الحد بل يتعداه الى الحضارة المعنوية للمجتمع. وعليه نجد ان ما يناسب المجتمع الريفي الكوردي من ادب يختلف بعض الشيء عن ادب مجتمع المدينة. فنجد ان ادب الفلوكلور والحوار في الشعر اعم من باقي انواع الادب ايضا فقد اخذ مجتمع المدينة يستذوق المستحدثات والتجديدات

الغنائية بينما مازال مجتمع الريف على عهده مع الاغاني الكلاسيكية، ولقد قمت باحصائية تقريبية في برنامج ما يطلبه المستمعون من القسم الكوردي في دار الاذاعة العراقية وكان ان حصلت على النتيجة الآتية من المرحلة الاولى من الاحصاء الذي استغرق (١٥) يوما وهي:

١- ان معدل طلاب الاغاني الكلاسيكية والقديمة من ابناء القرى الكوردية يشكلون ٩٣٪ من مجموع ابناء القرى الذين راسلوا برنامج ما يطلبه المستمعون لمدة (١٥) يوما.

٢- ان معدل طلاب الاغاني الكلاسيكية والقديمة من ابناء مراكز الاقضية والنواحي الكوردية يشكلون ٧٤٪ من مجموع ابناء الاقضية والنواحي الذين راسلوا البرنامج نفسه وخلال ذات المدة المذكورة اعلاه.

٣- ان معدل طلاب الاغاني الكلاسيكية والقديمة من ابناء مراكز الالوية يشكلون ٥٣٪ من مجموع ابناء الالوية الذين راسلوا ذات البرنامج وخلال المدة المذكورة اعلاه.

وبعد خمسة عشر يوما من انتهاء الاحصائية الاولى بدأت باحصاء ثان ولعين الغرض وبذات الطريقة متوخيا من ذلك الدقة الاحصائية ولاستخراج معدل الناتج بين الاحصائيتين فكانت النتائج كما يأتي:

١- ٩١٪

٢- ٧٠٪

٣- ٥٦٪

ويستطيع القارئ الكريم ان يجد العلاقة المتقاربة بين النتائج الاولى وبين النتائج الثانية واليك الجدول الآتي موضحا لك نتائج الاحصاء:

معدل الاحصاء الاول	معدل الاحصاء الثاني	المعدل العام
القرى ٩٣ بالمائة	٩١ بالمائة	٩٢
الاقضية ٧٤	٧٠	٧٢
الالوية ٥٣	٥٦	٥٤,٥

خامسا: قد تتجلى ظاهرة الالتزام الادبي على اساس اختلاف مناحي المذاهب الادبية فهناك من يهوى ويتذوق الشعر الكلاسيكي الصرف بينما هناك من يتذوق اتجاها اخر في الادب وسنتناول بعضا من هذه المذاهب الرئيسة في هذا الجزء من الكتاب.

الاتجاهات والمذاهب الرئيسة في الادب الكوردي

ان الاتجاهات الادبية ميزة اجتماعية تعنون لنا طبيعة المجتمع في حقب زمنية معينة وبروز اتجاه ادبي ما وسيطرته على الادب معناه وجود بواعث معينة تعمل لاظهار ذلك الاتجاه، وطبيعي ان هذه البواعث تتعلق بحياة المجتمع وحاجاته بصورة اكيدة فهي بهذا الاعتبار قابلة للزوال او الضمور او الانحلال الا ان هذا لا يعني زوال تلك الحاجات او تحولها او تغيرها فهي مميزة لبعد زمن معين من حياة المجتمع حيث ان الاتجاه يبقى في الادب كحلقة من سلسلة يرتبط بها اتجاه اخر واخر وهكذا.

والاتجاه الادبي الواحد يخضع لقوتين متعاكستين الاولى قوة انصار الاتجاه القديم ومؤيديه، والثانية قوة انصار التجديد والثائرين على الركود والتخليد فاذا ماطغى الاتجاه الجديد بقيت اثار الاتجاه القديم مادام هناك من يؤيده ويؤازره.... بعد هذه العجالة الموجزة عن اتجاهات الادب بصورة عامة سنتناول اهم الاتجاهات الرئيسة في الادب الكوردي.

اولا : كلاسيكية الادب الكوردي:

ان الكلاسيكية او التقليدية مصطلح متعارف عليه والمقصود به الابقاء والمحافظة على ما هو معهود لا في مجال الادب فحسب بل في مجالات الحياة المتعددة ومناحيها.

والادب الكوردي شانه شان اداب القوميات الاخرى خضع الى الكلاسيكية كاتجاه ادبي ومازالت الكلاسيكية مستمرة التاثير عليه ولكن هذا لايعني ان كل ما في الادب الكوردي كلاسيكي الاتجاه - كلا- بل ظهرت نزعات تجديدية في الادب وفي مختلف المراحل التاريخية الا انه والحق يقال فالادب الكوردي في تنقلاته وتحولاته الاتجاهية والمذهبية كانت خطاه قصيرة مما جعلت الكلاسيكية تستمر في تأثيراتها على الادب الى يومنا هذا على الرغم من الروح التجديدية عند ادبائنا الكورد، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان دائرة الكلاسيكية نجدها مقترنة بطبقة كلاسيكية ايضا في المجتمع ولاسيما رجال الدين ومن غير رجال الدين ممن لا يروق لهم التبديل والتغيير فقد يكون التغيير مضرا بمصالحهم. نلاحظ ان الكلاسيكية الادبية بصورة عامة وفي الادب الكوردي بصورة خاصة تؤكد تمام التأكيد على الشكل والمظهر الخارجي للنتاج الادبي اكثر من تأثيرها للمعنى العميق وسعة الفكرة واهتمامها بالمعنى العقلي اكثر من اهتمامها بالعاطفة والخيال، نلاحظ ان كثيرا من ادبائنا قد اجازوا لانفسهم ما لايجيزه الادب ورسالته قاصدين بذلك الحفاظ على القافية والروي والوزن في الشعر فجل هم الشاعر كان ان يسيطر في نتاجه الادبي على الاوزان والقوافي دون الالتفات الى انه قد ادخل كلمات عديدة لابل في احيان كثيرة عبارات كاملة من لغات غير

كوردية في شعره فاصبح ادبه ادبا ممسوخا خليطا وان كنت اقر ان طبيعة العصر كانت تفرض نفسها على اسلوب الشاعر او الاديب. ان التطرف الشديد كالتقيد بالقاعدة هو الذي ادى بكثير من الشعراء ان يتعرضوا اليوم الى نقد ادبي على الرغم من جمال الفكرة وسحرها في احيان كثيرة.

وقد اثرت الكلاسيكية على الادب الكوردي من بعد اخر وهو الفكرة التي يكتب من اجلها الاديب. فالى فترات طويلة من تاريخ ادبنا كانت المواضيع محدودة والميادين التي يمكن للاديب ان يجول فيها كانها مقررة واية نزعة للتجديد والتحسين تعتبر خروجاً عن جادة الادب الصحيح.

لقد خلدت الكلاسيكية في الادب الكوردي نتاجات كان ولا يزال المجتمع الكوردي يعتز بها لما فيها من ابداع وسمو واذا كانت النزعات التجديدية قد طرأت على الادب الكوردي فهذا لايعني موت الكلاسيكية واضمحلالها، فالاتجاهات الادبية في الحقيقة اتجاهات متشابكة متصلة مع بعضها كما واود بهذه المناسبة ان اعبر عن رأيي الخاص في هذا المجال لاقول ان الكلاسيكية في الادب الكوردي لا تعني تمام الكلاسيكية او ان الرومانتيكية لا تعني تمام الرومانتيكية.

بل يمكن ان نستشف تمازجا في النتاج الادبي الكوردي فالقطعة الادبية الواحدة حقا يمكن اعتبارها كلاسيكية لما فيها من ميزات وخواص تجعلها في مصاف الكلاسيك ولكن مع هذا يمكن ملاحظة اثر الاتجاهات والمذاهب الادبية الاخرى فيها.

ومرد ذلك في الحقيقة هو صفة الادب الكوردي الذي قلنا عنه انه ادب هادف، واذا كان هناك عبر تاريخ الادب الكوردي ممن تزمتوا

وتطرفوا بشدة الى الكلاسيكية فلا يعني هذا ان جميع الادباء الكورد قد خضعوا لهذه الفكرة، كلا بل نستطيع ان نشاهد الحرية واضحة في النواحي الادبية فالاديب يحاول ان يضع فكرته ويترجمها عن طريق الادب الا ان خضوعه الى الكلاسيكية كان خضوعا استطيع الى حد ما ان اسميه خضوعا لاشعوريا ولا يزال هذا الخضوع الى يومنا هذا متجليا في الاوزان والقوافي من شعرنا وفي المثل العليا وشدة التمسك بها لاسيما في المجتمعات الكوردية الريفية وان كان هناك شبه تحرر من الشكل لا المضمون في الشعر الريفي وسنأتي على ذلك فيما بعد واننا اذ نقر بقاء الادب الكلاسيكي ودوامه نقول ذلك لابدافع خاص انما للتقبل والتذوق العام لهذا الصنف من الادب فمجرد بقاء واستمرار هذا الصنف من الادب دليل قاطع على التذوق العام له والا لاضمحل الى درجة تختلف عما هي عليه في يومنا هذا وفي الواقع فان الموضوع ليس موضوع اقرار بقدر ما هو بقاء للاكثر ملاءمة وتوافقا مع النفسية العامة في المجتمع. ان الادب الكوردي كما سبقت الاشارة اليه ادب هادف ومادام الادب الكوردي ادباً هادفاً اذن كان لزاما ان يكون الاديب متحررا فهدفية الادب قد تصطدم احيانا مع كلاسيكيته او مجالاته المحددة وطرائقه المخصصة وبهذا وجد الادب الكوردي لزاما عليه ان ينطلق الى ميادين وطرائق جديدة، فالجديد من شانه ان يكون اكثر تاثيرا اذا ما كان المجتمع قد مل شيئا او اصبح بالنسبة له شيئا بديهيا، حقا ان الجديد قد لايكون مقبولا باديء ذي بديء ولكنه سيكون مرغوبا واشد اثرا وادق وقعا اذا ما كان التقليدي والمعهود قد باتا مملين وبديهيين، اذن لا مناص من التجديد والتغيير ولكن بخطى وئيدة وبما يناسب التغيير الاجتماعي والتطور

الحضاري البطيء طبعا، وعلى اي حال يمكن حصر الكلاسيكية بمعناها الحرفي بابعاد الادب القديم من ناحية وبابعاد اداب المجتمعات الريفية من ناحية ثانية تلك التي تسودها المثل اكثر من غيرها في حياتنا الحاضرة.

بقي علينا ان نقول ان الحياة ليست كلها مُثل وقواعد وقوانين صارمة ثابتة واذا كان الادب مقتصرا عليها وحدها لايمكن اعتباره ادبا كاملا فكما اننا نحتاج الى قواعد تشد المجتمع الى نظام ومثل تشذب الحياة الاجتماعية كذلك فالمجتمع بحاجة الى الخيال والانطلاق والحرية والترويح عن النفس، وكما نجتاج الى الجدية والواقعية في الحياة كذلك نحتاج الى اللهو والهزل ايضا، فالاديب او الفنان الذي يريد من ادبه او فنه وسيلة للارتقاء بمستوى المجتمع يستطيع ايضا ان يقدم له ما يبهجه وما يسعده جنبا الى جنب مع ما يعلمه ما ينير له الدرب وعندئذ يكون المجتمع شاعرا ببهجة الحياة منفتحا عليها لا منطويا مسلوب الارادة ازاء قواعد وقوالب قد تكون صارمة وصلبة.

اذن ازدهار الخيال والاسترسال العاطفي والتغلب الوجداني كان ضرورة اقتضاها الادب الكوردي وبنتيجة حتمية امتزجت مع كلاسيكية الادب بحيث اصبح التمييز بينها شيئا صعبا في احيان كثيرة وهكذا لم تتغير سحنة الادب تغيرا واضحا على الرغم من التطور النسبي الذي واكب ادبنا.. ان قوام الكلاسيكية الادبية للادب الكوردي الحفاظ على المثالية الاجتماعية وديمومتها والمثالية الاجتماعية الشيء المألوف والمعهود فهي مع المنطق لان الخروج من المألوف والمعهود في المجتمع يعتبر شذوذا بالنسبة لاحكام الفكر الجماعي وخروجا عن المنطق الاجتماعي

فتغليب العقل على العاطفة ليس بالشيء الغريب في ادبنا ولا يعني هذا ان العاطفة لا تنتصر على المنطق في كلاسيكية ادبنا- كلا- انها تنتصر في حالات كثيرة لاسيما اذا كان الاديب يريد من نتاجه الادبي تصوير الضعف الانساني او اظهار شخصية مهزوزة وكما يظهر انتصار العاطفة في الشعر الكلاسيكي احيانا في النواحي الثانوية من الموضوع الادبي كما يكون هذا الانتصار من ضمن الموضوع العام الذي في نهايته ينتصر العقل على العاطفة او بعبارة اخرى كثيرا ما يكون الانتصار انتصارا جزئيا لا كليا. وفي الحقيقة نستطيع ان نربط بين هذا النمط وبين الحياة الاجتماعية او طبيعة الادوارالاجتماعية في الحياة الكوردية.

ان قضية قهر العاطفة تلبس لبوسا رجوليا في المجتمع الكوردي. فليس من الرجولة ان يبكي الزوج حزنا على زوجته المتوفاة وعليه ان يلتزم السكوت امام المجتمع وكأن شيئا لم يحدث. وكثيرا ما يعتبر الضحك من الاعماق والذي هو تعبير انفعالي للعاطفة بالشيء غير المنسجم مع الشخصية المثالية حتى في الاحوال الاعتيادية. اما اذا اردنا ان نتحرى عن الاسباب الاصيلة لمثل هذا الموضوع. موضوع قهر العواطف فليس هناك ما يبرر وجود هذه الظاهرة سوى انها مقاييس ومعايير موضوعة ومؤتلفة فباتت تتفق مع المنطق في الحياة ومن ثم مع الادب المنطقي. اذن نستطيع هنا ان نقول ان التغيير النسبي في مقاييس ومعايير مجتمعنا الكوردي معناه تغير نسبي في ادبنا الكوردي ايضا من حيث ان الادب تعبير للحياة بكل ضروبها وفي الحقيقة يمكن اننقف على نوعين من الكلاسيكية في الادب الكوردي **وقد يعمل النوعان**

معا في اخراج ادب كلاسيكي بحت وقد يعمل احد هذين النوعين في اخراج نمط كلاسيكي فنلاحظ في الادب الكوردي وجود:

١- كلاسيكية الشكل (القوافي والاوزان).

٢- كلاسيكية الفكرة.

فقد تكون الفكرة فكرة كلاسيكية معهودة اي ان مضمون النتاج الادبي مضمون معهود فضلا عن ان اخراج الفكرة اخراجا كلاسيكيا يعتمد على الاوزان و القوافي في الشعر.

ولكن الملاحظ ايضا ان نتاجات ادبية كثيرة في ادبنا الكوردي لم تعر اهتماما للشكل كما يتجلى ذلك في كثير من الفلوكلورات الشعبية وفي (اللاوك والحيران) اذن بهذا المفهوم نستطيع ان نقول بان الشعر الحر هو ليس بالشيء الجديد بالنسبة لعالم الادب الكوردي.

من حق القارئ الكريم ان يعترض او ينتقد الفكرة المتقدمة ذلك ان هناك بونا شاسعا بين الادب الكلاسيكي والادب الحديث لاسيما الشعر الحر، فهناك تباعد زمني بين الصنفين اضف الى الفارق بين الشكل في كلا النمطين، في الواقع انا لا اقول ان هذا الصنف الذي عنيته من ادبنا هو شعر حر كما نفهم الشعر الحر من حيث هو تعبير للفترة الحضرية الحالية، فاذا كان الشعر الحر قد جاء كنتيجة لحاجة اجتماعية لصيقة بما يفرضه الواقع الحضاري اليوم اذن لا يمكن ان يكون هذا النمط من الادب متقدما على الزمن بحيث جاء قبل اوانه، كلا فهو قديم قدم المجتمع الكوردي باسره، ولهذا فان المبررات التي تبرر وجوده هي غير تلك المبررات التي اظهرت الشعر الحر ومن هذه المبررات التي جعلت هناك نتاجا شعريا ادبيا متحررا عن الوزن والقافية ويعتبر احد

الانماط الادبية التي لا يمكن نكرانها هي الواقعية السائدة في هذا النوع من الادب فواقعية الموضوع ودقة ملابساته وتشابك حوادثه وظروفه جعلت الفكرة والمعنى اطول من ان تحدد بعبارة موزونة مقفاة وعلى هذا الاساس نجد ان الشعر الذي يحكي بين طياته حوادث وقعت فعلا يكون اقرب إلى هذا النمط من الادب الذي خرج على القافية والوزن والقاعدة بينما نجد الشعر القائم على الخيال يعتمد على الشكل ويدخل في حظيرة الاوزان والقوافي، والسبب في ذلك واضح فانت تستطيع ان تنتقد الشاعر إذا ما بدا في شعره ما هو بعيد عن الواقع عندما يريد ان يكرس حادثة ما وقعت فعلا في قصيدة أو قصة لهذا فهو يراعي الدقة الموضوعية قبل مراعاته للنواحي الاخرى بينما لا تستطيع انتقاد الشاعر الذي يريد ان يكرس خيالاته في نتاج ادبي شعري فما يبوح به وما يكتبه يعتبره من خيالاته وافكاره الخاصة فهو (هكذا يفكر) أو (هكذا يتخيل) وكل شاعر حر في خياله وافكاره. ان ما تقدم لا يعني ان كل نتاج ادبي شعري يروي حادثة ما وقعت يجب ان يكون شعرا خارجا عن الشكل، كلا فهناك مالا يحصى من القصائد الكوردية التي خلدت وحافظت في ذات الوقت مواضيع جمة على الشكل فهي شكل ومضمون في الوقت نفسه. وبهذا اعتبرت هذه النتاجات منطلقة من الكلاسيكية العريقة في الادب الكوردي.

ثانيا: الرومانتيكية في الادب الكوردي:

ليس غريبا ان تزدهر الروح الرومانيتكية في نفسية الشاعر الكوردي وان كان هناك فارق بين رومانتيكية الادب الكوردي

ورومانتيكيـة اداب المجتمعـات الاخـرى لاسـيما اوروبـا فالفـارق لـيس بالاتجاه ونسبته بل بالطريقة التي ظهر بها هـذا الاتجاه والعوامـل الـتي ادت إلى نشوئه ثم السرعة المفاجئـة نسـبيا في ظهوره في اداب المجتمعـات الاخـرى بينمـا كـان بطـيء الظهـور والنشـوء عنـدنا، وقـد ذكـرت في كلاسيكية الادب الكوردي ان هناك تماسكا وثيقا أو تمازجا بـين هـذين الاتجاهين ذلك لاننا لا نستطيع في الحقيقة وعلى وجه التحديد ان نضع تاريخا معينا لظهور الاتجاه الورمانتيكي في الادب الكوردي.

ان الرومانتيكية عاطفة أو استرسال وانعتاق من العقلانية (المطلقة) وكما ان الكلاسيكية هي ليست خلواً من العاطفة والوجدان تماما فكذلك الرومانتيكية هي ليست خيالا بحتا ووجـدانا صـرفا في الخيـال، ان بيئـة المجتمع الكوردي خير بيئة صالحة معينة لنشوء العاطفة وازدهار الخيال وانطلاقه وانعتاقه من الميادين المحدودة والقواعد الصارمة التي سبق ان نوهنا عنها في حـديثنا عـن كلاسـيكية الادب الكـوردي هـذا مـن ناحيـة ومن ناحية اخرى فان الاحتكاك الادبي له اثره البالغ في خلق مثل هـذا الاتجاه واقصد بالاحتكاك الادبي هنا اطلاع الاديـب الكـوردي علـى اداب المجتمعات واللغات الاخرى من غير الكوردية، فنجد ان كثيرا مـن ادبائنـا كانوا يجيدون الفارسية أو العربية أو كليهما وبهذا يكون الاديب الكوردي مطلعا على اداب الشعوب الاخرى، وهذا بطبيعة الحال لا يعتـبر تقليـدا، ذلك لاننا لا نستطيع ان نعلـم علـى وجـه التحديـد أي المجتمعـات كانـت اسبق في تلقف الاتجاه الرومانتيكي، الرومانتيكية لاتمثـل فـترة تاريخيـة ادبيـة بقـدر ماتمثـل اتجاهـا ادبيـا يختلـف عـن الكلاسـيكية لـه عواملـه

ومقوماته الخاصة إلى ان التمازج النتاجي للادب كان شيئا طبيعيا فكثيرا من شعراء الكورد نظموا باللغة الفارسية أو العربية أو التركية وبالعكس. ولهذا فالاحتكاك الادبي الذي ذكرته لا يعني في الحقيقة محاكاة وتقليداً لاتجاه ما بل استطيع ان اقول ان هذا الاحتكاك قد يكون هو العامل الذي حدا بالادب الكوردي ان يتعرف على الرومانتيكية كأتجاه ادبي مستقل على الرغم من وجودها مسبقا وتأثره بها فالتعرف على الشيء هو غير تعلم الشيء حيث ان (التعرف) كمفهوم نفسي معناه الالتقاء بالشيء الموجود مسبقا أو التعامل مع شيء ما من دون ان نشعر بوجود ذات الشيء بصورة مستقلة، ولهذا فاننا في الحقيقة تعرفنا على الرومانتيكية من خلال الاحتكاك الادبي واعطيناها وجودا مستقلا كاتجاه خاص على الرغم من انعدام الحدية التاريخية في ظهوره بالنسبة للادب الكوردي.

وبات من المهم ان نتعرف على الرومانتيكية (الكوردية)، ولا اعني بالرومانتيكية (الكوردية) ان يكون لدينا اتجاه رومانتيكي ادبي خاص مختلف مغاير للاتجاه العام للرومانتيكية العالمية في الادب انما المعني بهذا ان لكل مجتمع تقاليد وقواعد اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات،

وبما ان هناك علاقة وطيدة بين الاتجاه الادبي وبين التقاليد والعادات والسيكولوجية العامة للمجتمع، وبعبارة اخرى اننا نتحسس الاتجاه الادبي من خلال تأثيره على تلك العادات والتقاليد والسيكولوجية العامة، اذن علينا ان نتحسس هذه التأثيرات بالنسبة

للرومانتيكية على ادبنا الكوردي ومن ثم مجتمعنا. يخطئ البعض ممن يعتقد ان الرومانتيكية خروج عن (الحقيقة) باعتبار انها ثورة على الكلاسيكية والكلاسيكية تعتبر غاية الادب (الحقيقية) والبحث عنها، كلا ان الرومانتيكية هي ليست تجرداً عن الحقيقة. فاذا كانت الحقيقة غاية ومثلا يسعى الانسان للوصول اليه فانها أي الرومانتيكية قرنت هذه الحقيقة بالجمال وجعلت الجمال صفة ملازمة للحقيقة والحقيقة صفة ملازمة للجمال، كل منهما ضروري للاخر، وبهذا فهي اخرجت (الحقيقة) من القالب الصلب للواقع فمزجتها مع الاحاسيس الفردية للانسان وذلك لان (الحقيقة) في الادب الكلاسيكي امر مطلق متفق عليه اجتماعيا أي انه قد اتخذ صفة اجتماعية عامة بينما (الجمال) امر نسبي يتغير بتغير الافراد والظروف.

اذن كما ان الحقيقة هي (فضيلة) في نظر الكلاسيكية، اذن يكون الجمال ايضا شيئا له قدسية يوضع في عين مستوى الحقيقة في الرومانتيكية الكوردية وعليه نجد ان الشاعر الكوردي الرومانتيكي لا يرى غرابة إذا ما اقسم (بالجمال) هذا مما يدلنا على ما للجمال من قدسية في نفسية الشاعر الرومانتيكي الكوردي.

والان ارجو من القارئ الكريم ان لا يعتقد بان الرومانتيكية كانت محددة بالعاطفة والخيال دون العقل، فكما ان الكلاسيكية تسلك مسلكا عقلانيا وبطابع مثالي (اخلاقي) كذلك نجد ان هناك طابعاً اخلاقياً غايته الاصلاح الاجتماعي متجلياً في الادب الرومانتيكي الكوردي. فنجد ذات الشاعر (بێ کەس) في ختام قصيدته التي ذكرنا مقاطع منها في ادب الحب يقول:

ايها القمر
كم تطلعت إلى هذا العالم
فوقفت على النفاق
والظلم والرياء
ولذا ايها القمر غدوت شاحبا
بارد الشعور

لقد علمنا ان الكلاسيكية اختلفت عن الرومانتيكية في القوام والشكل وهنا نضيف ان هذين الاتجاهين اختلفا من حيث الموقع والمحيط، فمن المعلوم في علم الاجتماع ان التوسع السكني على أساس التطور الاجتماعي وازدياد حجم السكان معناه تطور وتحول الحياة من حياة الريف إلى حياة المدينة والتطور الاجتماعي كمفهوم عام يشمل التطور في الحضارة المادية والمعنوية للمجتمع، ويهمنا من هذا انه سيحصل تطور فكري أي تطور في المنطق وبهذا فان الكلاسيكية المعتمدة كما بينا انفا على المنطق ستكون قد بلغت مرحلة عالية وتمركزت في نوع من الحياة هي الحياة فهي قادمة إلى المدينة. اما الرومانتيكية فهي ضيق بالمنطق ولجوء إلى العاطفة اذن هي انعتاق من الحياة المعقدة إلى حياة ابسط منها وبعبارة اخرى خروج من المدينة إلى الريف. وعليه فان هذين الاتجاهين في الحقيقة سائران في طريقين متعاكسين والسبب الذي يكمن وراء هذه الظاهرة، ظاهرة تعاكس الطريقين أو اختلاف الامكنة التي يتمركز فيها كل اتجاه من هذين الاتجاهين يعود إلى نوع من التقسيم النفسي وفقا لمراحل التطور الاجتماعي أو سلم التطور من الناحية الاجتماعية، فكما ان ذروة التطور البايولوجي هو الانسان،

ويهمنا من هذا التكوين المعقد الدماغ كذلك فان ذروة التطور الاجتماعي هو المجتمع الذي تكون نسبة خضوعه للعقل اكثر من نسبة خضوعه للعاطفة.

ان العواطف والغرائز تؤدي دورا مهما في حياة المجتمعات البدائية وتعتبر القوى المسيرة للحياة الاجتماعية البدائية وكلما ارتقى المجتمع درجة من درجات سلم التطور الاجتماعي كلما تضاءلت هذه القوى المتحكمة لتحل مكانها قوى اخرى هي قوى العقل.

لا اريد ان اقول بهذا ان رومانتيكية الادب الكوردي لصيقة بالمجتمع البدائي بقدر ماأريد ان اعلل اتجاه الرومانتيكية نحو الحياة المبسطة كما ان نوعية الحياة الريفية (البسيطة) هي ليست غاية الرومانتيكية بقدر ما هي وسيلة للاقتراب من الطبيعة كما هي وبلوغ جمالها.فكثيرا ما تؤدي الطبيعة دورها في الادب الكوردي من حيث هي مسرح الاحداث لذا فقد يصعب على اديب ما انتزاع نفسه من الطبيعة ولو بقدر ضئيل لا بل كثيرا ما نجد التمازج الوثيق بين نوعية الطبيعة والحالة النفسية التي يعانيها الشاعر واجب هنا ان اضع القارئ الكريم امام قصيدة كوردية للشاعر عثمان مصطفى خوشناو ومن ثم سنحاول التعرف على ابعاد الرومانتيكية الاصيلة في ادبنا الكوردي من خلالها، وليست هذه القصيدة هي اول واخر ما يمكن الاعتماد عليه في مثل هذا التحليل للرومانتيكية ولكني اخترتها باعتبار ان الشاعر الذي نظمها (خوشناو) هو رومانتكي المبدأ على مدى تاريخه الادبي لذا فقد تتجلى فيها الروح الرومانتيكية بصورة واضحة:

إلى العائدة[1]

الفصل شتاء

ليل البؤس جاثم فوق صدري..

لم تبق زهرة واحدة في الوادي

النجوم حيارى في سمائي

الصمت يحتضن افقي

اردت ان العنك في ملحمة كلويستوك[2]

ولكنك عدت.

وعلى رموشك علم الاستسلام

بحثت عنك في البراري الموحشة والذرى

كنت طيفا نلت اعجابي كنت واحة وجدت فيك ما يشفي غليلي

كنت عذوبة الطفولة لي ودفء الشباب

كنت الفينوس في شمسي

ومع ذلك فقد كنت ضائعة

تبحثين عن وجودك في القلق

لقد انقضى الربيع في زحمة اليأس.

لفني ظلام فراقك

عصفت رياح الخريف بصيف الاماني

---

(١) القصيدة مأخوذة من الديوان الثالث (غير المطبوع) للشاعر خوشناو باللغة الكوردية

(٢) (**كلويستوك**) شاعر الماني كتب ملحمة شعرية في عشرين قصيدة طويلة استنزفت حياته كلها في وفاء الزوجة، تعتبر من روعة الادب الكلاسيكي. (**المؤلف**)

والان..

الفصل شتاء يا صغيرتي

عدت لماذا..؟

هل تريدين ان تحكين لي حكاية الوفاء؟!

عبثا احاول طردك من دياري

لانك اخضوضرت في كلمتي..

يلاحظ القارئ (وكما ذكرت) ان الشاعر خوشناو يريد قبل كل شيء اعطاء السامع أو القارئ جوا معينا للقصيدة فهو يصف الجو بالشتاء ومن ثم يربط بين هذا الجو الكئيب وبين ما يعانيه من بؤس وشقاء.

ولهذا نستطيع ان نستشف ظاهرة مهمة في الرومانتيكية الكوردية وهي:

١- **المعاناة:** كثيرا ما نجد ان القصيدة الشعرية تحمل معاني ومواقف هي من معاناة الشاعر قد تتجلى بصورة واضحة وهنا تظهر ذاتية الشاعر ولكن قد يظهر عنصر المعاناة في الشعر مع اختفاء شخصية الشاعر في احيان كثيرة.

٢- **التمازج:** قلنا ان الشاعر لا سيما في الادب الكوردي لا يستطيع الانفكاك عن الطبيعة بل بالعكس فانه دائم الصلة بها ويعكس معاناته النفسية على الطبيعة باسرها، فقد يجد القارئ الكريم في القصيدة المذكورة اعلاه ان الشاعر يشرك الزهور والنجوم والافق الصامت كل ذلك للتدليل على ما يعانيه ولكن بادوات طبيعية.

٣- **الاسى:** نلاحظ في الرومانتيكية الكوردية ومعظم نتاجاتنا الادبية من هذا القبيل انها تحتوي على نسبة كبيرة من الكآبة الجاثمة على صدر الشاعر.

٤- **الاسقاط النفسي:** وهي كقاعدة نفسية تمثل سقوط حاجات ورغبات الانسان الدفينة في اللاشعور على القصة التي يكتبها أو الشعر الذي ينظمه أو حتى في كلامه ونواحي تطرفه.

الاحلام في الادب الكوردي

ان الاحلام وجدت في الادب الكوردي وفي اتجاهات مختلفة منه، وان كانت قد ظهرت في الادب الرومانتيكي اكثر من غيره من الاتجاهات ونستطيع ان ننظر إلى الحلم في الادب الكوردي من نواح ثلاث:

اولا: ان الحلم كظاهرة عولجت ودرست من قبل علم النفس، فهي نشاط اللاشعور أو العقل الباطن عند الانسان عندما يكون الشعور قد غاب ولو بصورة نسبية، وعندئذ تكون الضوابط أو بعبارة فرويد (الرقيب) غير قادرة على التحكم الكلي كما في حالة اليقظة فيتسنى بذلك للرغبات المكبوتة في اللاشعور ان تعبر عن نفسها بصدق وتظهر على حقيقتها وبتجرد عن القيود الاجتماعية وعليه فان توغل الحلم كظاهرة نفسية في الادب الكوردي معناه توغل الجذور الاساسية للمشاعر الانسانية في الادب الكوردي فيما إذا كان الشاعر صريحا وواقعيا في تكريس حلمه بقالب ادبي شعرا كان أو أي شيء اخر، وليس غريبا من وجهة نفسية علمية ان تكون هناك علاقة لا بأس بها بين الحلم وبين النتاج الادبي العام للاديب والنتاج الادبي الخاص بالاحلام للاديب نفسه ذلك لان النتاج الادبي ما هو الا صياغة خاصة سميت بالادب افليس الادب تعبيراً عن المشاعر؟ هذا إذا ما علمنا ان اللاشعور امتداد طويل مخفي لهذه المشاعر التي يشعر بها الاديب فتتمخض عنها نتاجاته ونشاطاته الادبية.

ثانيا: ان الحلم اعتماد على النواحي النفسية أي انه مسير من قبل المشاعر العميقة والعواطف واصطداماتها واحتداماتها فهي أي الاحلام لا تعتمد على التفكير المنطقي لا سيما البحث منه، وبهذا فهي تدخل في حظيرة الرومانتيكية وان كان الحلم لا يعتبر صفة ملازمة للرومانتيكية الكوردية على الدوام.

ثالثا: من خواص الاحلام كظاهرة نفسية انها تتعدى حدود الزمان والمكان اللذين يدركهما الانسان في حياته الشعورية أي اثناء حالة يقظته بينما يتعداهما عندما يكون اللاشعور نشيطا اثناء الحلم في حالة النوم والخروج عن محددات الظروف فانعكاس الاحلام في الادب الكوردي بهذا المفهوم معناه اطلاق كلي لعنان الخيال.

في احدى الليالي[1]

زارني طيف الحبيبة.. وانا احلم
وسهرت طوال الليل بقربها
في غرفة ظلماء
انا الحزين والحبيبة ذات القوام المشوق
اثنان بعيدان عن اعين الغرباء
واردت ان اقول لها:
ياسر شقائي في الحياة
هل تسنح لي فرصة كهذه
لافرغ شحنة الالام المنبعثة من قلبي

---

(١) ديوان الشاعر المرحوم سلام.

لابوح لذات الوجنتين الورديتين بسقامي

أي سقم ابوح..؟

سقام القلب!

أي قلب...؟

موقد الالام...

ولأية حبيبة...؟

لحبيبتي التي لا انيس لها في وحدتها

ذلك السقام الذي اذاب قلبي

واي قلب...؟

القلب المدمى

ان الالام تعتصر قلبي

فغدا متوهجاً

فاقداً شعوره

جلست واجماً والنفس مفعمة بالالم

لقد كنت قيساً...

ووقع عليها نظري، فامتلأت مقلتاي بالدموع

وماتت الكلمات على شفتيَّ

وعشت في صمت عميق

ورفعت النقاب عن وجه مشرق

ليمزق القلب ارباً ارباً

وعادت الغرفة المعتمة مشرقة

بضياء وجنتيها، وسهام مقلتيها

كل هذا جعلني اثور

اثور على صمتي

ياحبيبتي الحسناء

ايتها الوردة المتبرعمة... يا كل حياتي...

وهكذا يستمر الشاعر بعد ان يثور على صمته في حمى ملتهبة من الوصف الرومانتيكي لحبيبته الى ان تبادره حبيبته قائلة والدموع تنهمر من عينيها

ان آلامي تفوق آلامك

ان النحيب لايجدي

بل الرجولة والهمة سأكون لك.

تم الجزء الاول

(بقية المذاهب الرئيسة في الجزء الثاني)

شكر

اتقدم بجزيل شكري ووافر امتناني للشاعر الكوردي محمد توفيق وردي لما احاطني به من المصادر الفولكلورية، كما اشكر بحرارة الطالب طلعت محمد صالح في الصف الثاني من دار المعلمين الابتدائية في اربيل الذي قام باستنساخ مسودات الكتاب بخطه الرشيق متمنياً له التوفيق.

المؤلف

المصادر

١- تاريخ الادب الكوردي: الاستاذ علاء الدين السجادي.

٢- الفلوكلور الكوردي: (الجزء الاول) الاستاذ محمد توفيق وردي.

٣- الفلوكلور الكوردي: (قصص شعرية كرمانجية) جمع الاستاذ محمد توفيق وردي.

٤- دراسة في الشعر الكوردي: مسس بول ماركريت وترجمة الاستاذ الراحل رفيق حلمي.

٥- الشعر والادب الكوردي: الاستاذ الراحل رفيق حلمي.

٦- ديوان شيخ احمد الجزيري:جمع وطبع الاستاذ كيومو كرياني.

٧- ديوان قانع: طبع الاستاذ علاء الدين السجادي.

٨- ديوان سلام: طبع مكتبة كەلاويژ.

٩- ديوان مفتي بنجوين: قام بطبعه نجل الشاعر.

١٠- اقتباسات من قصة مه م وزين: ترجمة الاستاذ سعيد رمضان بوتي.

١١- مقتطفات من شعر: مجيد ئاسنكەر.

١٢- مقتطف من شعر الاستاذ عثمان خوشناو مأخوذ من ديوانه الثالث غير المطبوع.